روايات عبير

تدابير القدر

www.elromancia.com

مرمورية

No. 031

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

تدابير القدر

◆ عاشت كارولين ليندس حياة غريبة فقد فقدت أمها وهى لا تزال طفلة صغيرة، ثم فقدت أباها وهى شابة.. ولم تكد تفيق من هذه الصدمة حتى أوقعتها دورندا ابنة زوجة أبيها فى مأزق حرج.. تركت لها أختها طفلا حراما وذهبت للبحث عن والده الشاب الإيطالى فيتوريو والذى اختفى فى حادث طائرة..!!

ولاتجد كارولين مفرا من الادعاء بأنها دورندا وقبول الزواج الصورى من عم الطفل دمنيكو حتى تضمن البقاء مع الطفل.

لكن ماذا حدث فى باريس؟ وماذا حدث فى روما؟ وما الذى دفع كارولين إلى العودة إلى انكلترا؟ وماذا حدث عندما تكشفت الحقيقة؟!

I.S.B.N. 977-376-051-0

9 789773 760519

W.Salama 0101517873

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

اسم السلسلة : روايات عبير
اسم الكتاب: تدابير القدر
الاسم الأصلي: THE MARRIAGE OF CAROLIWE LINDSAX
اسم المؤلف: مارجريت روم
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٤٥٨٠
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-051-0
جمع اليكتروني: فور إتش ت: ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
الأشراف العام: أ. سعد بكرى كوسا

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٦

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: الجميلية أمام مسرح نقابة - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد ٨٣٧٦٣٢٢

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email: darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com
مكتبة الرومانسية

روايات عبير 031

تدابير القدر

١- شقيقتان.. ولكن!!

غادر المعزّون المنزل وتركوا كارولين وحيدة بعدما رفضت كل عروض الجيران لتقيم معهم بعض الوقت حتى تستطيع التغلب على احزانها بعد موت أبيها المفاجىء.

جلست كارولين أمام المدفأة تحاول إدخال الحرارة الى جسمها الذى خدره الاجهاد. فلقد ظلت طوال الأيام الثلاثة الماضية فى ما يشبه الفراغ المستمر، كانت تتحرك بصورة آلية، لتأكل وتتكلم وتشترى ملابس الحداد وكأن شخصا آخر قد تولى القيام بواجباتها منذ موت أبيها.

أخذت تفكر فى أبيها، كان مرحا متفائلا. لا يهتم بأية مشكلة مهما كانت كبيرة.

ماتت والدتها وهى ماتزال طفلة فى شهرها العاشر. وبرغم أن والدها شارلز لندسى أحب أمها حبا جنونيا، الا أنه سرعان ما أيقن أن حياته مستحيلة بلا امرأة تقف الى جانبه بعد وفاة زوجته.

لم يجمع الحب الكبير أو التعاطف بينه وبين زوجته الجديدة

ميلدرد، ولكن كان كل منهما يملك ما يعطيه للآخر. فقد كانت أمًا دون زواج وكانت ابنتها دورندا فى حاجة الى أب تنسبها اليه، وفى مقابل ذلك حصل هو على رعاية المرأة. وكان الخاتم الذهبى فى يدها يعنى الاحترام بالنسبة اليها.

وكانت العائلة راضية قانعة بهذه الحياة، فالفتاتان كانتا كشقيقتين الا أن الرابطة العائلية كانت تهتز عندما تصاب احداهما فى حادث أو تواجههما مشكلة. فكانت كارولين تلجأ الى أبيها ودورندا الى أمها.

ظلت الحال على هذا المنوال ثلاث سنوات حتى توفيت ميلدرد، ونتج عن ذلك شعور دورندا بالحرمان. وحزن شارلز وكارولين مثلها على وفاة ميلدرد الا أن شعور كل منهما بوجود الآخر الى جانبه خفف من وقع الصدمة. اما دورندا فبقيت فى غربة عنهما.

لذلك لم يستغرب شارلز عندما قررت دورندا الذهاب الى لندن بعد مضى ثلاثة أشهر على وفاة والدتها.

نظرت كارولين إليها غير مصدقة وقالت:

- «إلى لندن ولماذا؟ ماذا أنت فاعلة هناك؟».

- «قررت الالتحاق بمدرسة للازياء فى لندن فهم يضمنون لى عملا عند انتهائي من التدريب. وبما أن هذا العمل طالما راقنى فإنى واثقة من اننى سأنجح فيه. فى اى حال دفعت المصاريف وهم يتوقعون حضورى خلال يومين عند بدء الدورة الجديدة».

وبعد يومين بالفعل غادرت دورندا الى لندن ووعدت بأن تكتب فى

انتظام بمجرد استقرارها. وتحرك القطار من المحطة وكان آخر ما شاهداه يدها وهى تلوح من النافذة وقد ارتسمت على وجهها أمارات السعادة.

سقطت قطعة خشب فى وسط النار فانتزع صوتها كارولين من تأملاتها وأعادها إلى الواقع. واذا بجرس الباب يدق فسألت:

- «من الطارق؟».

احتارت كارولين فى البداية ووقفت تحدق فى الفتاة الطويلة الأنيقة الواقفة أمام الباب. ثم صرخت بعدما عرفت من تكون. وفتحت الباب واندفعت نحوها:

- «دورندا حبيبتى، كنت أعرف أنك ستحضرين، طلبت من الله أن تحضرى وها أنت قد جئت».

- «لقد نضجت. إنك جميلة. لو رآك رينيه لعرض على الفور ان يرسمك».

- «ومن هو رينيه؟».

- «انه صاحب العمل، المصور الذى أعمل موديلا عنده».

وتساءلت دورندا فى نفسها أين ستجد كارولين رجلا مدركا يستطيع تحويل سذاجة الطفلة الى نضج امرأة.

- «دورندا لا يمكنك تصور فرحتى بمجيئك. دعينى أحمل حقائبك، ادخلى واجلسى قرب النار وسأجهز لك العشاء».

www.elromancia.com

علت شفتي دورندا ابتسامة رقيقة وهى تجلس على كرسى أبيها القديم وقالت:

- «أنا مسرورة مثلك يا عزيزتى. انى اتلهف على فنجان من الشاى».

أثناء تناولهما العشاء تحدثا عما فعلاه أثناء انفصالهما فى السنوات الثلاث. ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل فنظرت كارولين الى الساعة فى دهشة وقالت:

- «مر الوقت من دون أن أعد لك السرير. يجب الا تستغرقي فى النوم لأن السيد ولكنز سيحضر حوالى العاشرة من صباح الغد ليطلعنا على وصية والدى».

أدركت كارولين وهى تتكلم أنها المرة الأولى التى تذكر فيها والدها منذ وصول دورندا. وأدركت دورندا ماذا كان يدور فى خاطرها وأمسكت بها واحتضنتها قائلة:

- «انا آسفة لأنى لم أستطع الوصول قبل الآن يا كارولين كي أكون معك وأساعدك فى ترتيب المأتم، ولكن قلت لك ان عملى يشغلنى كثيرا. وكلما قررت الكتابة اليك يحدث شىء ما. وبعدما بلغت القمة فجأة أصبحت الحياة كلها قلقا وارتباطات اجتماعية، حفلات، رحلات الى الخارج. كانت الحياة كالدوامة وأحسست كأنى دمية فى خيط لا أجد وقتا لنفسى».

ونظرت اليها كارولين فى دهشة وقالت:

- «هذا من نعم الله. فالدنيا كلها تحت تصرفك: سفر، مغامرات، حب. هل قابلت فتى وسيما يا دورندا هل أحببت؟».

انزعجت كارولين للشحوب الذى بدا على وجه اختها عندما سمعت هذا السؤال. فصرخت ولفت ذراعها حول كتفى أختها لكن دورندا أبعدت ذراعها وابتعدت عن ضوء المصباح وقالت:

- «انى أشعر بتعب شديد. هل يمكنني الصعود الى غرفتى؟».

ودون انتظار رد صعدت السلم ودخلت غرفة نومها القديمة. وصعدت كارولين وراءها وما أن وصلت الى باب الغرفة حتى سمعت دورندا وهى تغلق الباب بالمفتاح. وذهبت الى غرفة نومها وأمضت الليل تلازمها النظرة المتألمة البائسة التى ظهرت على وجه أختها.

استيقظت كارولين صباح اليوم التالي على صوت الأوانى وصفير غلاية الشاى. كانت قلقة لم تنم الا فى الساعات المبكرة من الصباح.

وشعرت دورندا بأنها فى بيتها فوثبت من فراشها لتأخذ دوشا سريعا ثم ارتدت ملابسها وسرحت شعرها ونزلت الى المطبخ تجهز الطعام ونظرت الى أختها بابتسامة مشرقة وقالت:

- «صباح الخير يا كارولين. الفطور جاهز. صبى القهوة».

أخذت دورندا تدندن بجذل وهى تتحرك فى المطبخ. وكأن فتاة الليلة السابقة لم يكن لها وجود. وضعت الماكياج بمهارة ولكن لم تتمكن من اخفاء جفونها المنتفخة ولا نظراتها الحزينة.

قالت كارولين:

- «هل أنت بخير يا دورندا؟ لماذا اغلقت باب غرفتك بالمفتاح فى الليلة الماضية؟ لم اتمكن من الدخول لاعداد فراشك. كيف نمت؟ هل أزعجتك؟ صدقينى لم أقصد أن أكون فضولية».

- «تمهلى يا كارولين فى توجيه أسئلتك الواحد بعد الآخر. فى حال اننى أرفض بشدة الرد على هذا الفيض من الاسئلة قبل الأكل».

ابتسمت دورندا وقالت لكارولين:

- «تعالى. اجلسى وتناولى معى الفطور. السيد ولكنز سيكون هنا بعد نصف ساعة تقريبا، ويجب ألا يبدو علينا الكسل عند حضوره. فأنت تعلمين نظرياته فى الاستيقاظ المبكر».

كانت كارولين تبدو عليها علامات الحيرة وفهمت اختها السبب فقالت:

- «أرجوك امهلينى بعض الوقت لأحكي لك كل شىء».

أحاطت كارولين دورندا بذراعيها وعانقتها.

- «ليس لى الحق اطلاقا فى أن أوجه اليك أية أسئلة وسأحاول ألا أقحم نفسى فى شؤون غيرى ولكن تذكرى أنه اذا كان فى امكانى معاونتك فلن أتردد فى ذلك».

- «بارك الله فيك يا عزيزتى. ربما سألتك المساعدة ولكن لنتناول الطعام الآن ونسى هذا الأمر مؤقتا».

وصل السيد ولكنز فى تمام العاشرة، ولم يبد أى دهشة لوجود دورندا، بل حياها بابتسامة فاترة وألقى عليها نظرة سريعة من خلال

نظارته العتيقة. وأخرج من حقيبته الصغيرة وثيقة قانونية وعندما جلست كلتاهما بدأ فى قراءة وصية الأب.

كانت الوصية قصيرة وفى صميم الموضوع. فكل ممتلكاته شارلز من نصيب كارولين. المنزل ومحتوياته... بضع مئات من أسهم الشركة قلما تحقق ربحا وممتلكاته الشخصية. ولم يرد أي ذكر لدورندا. فسألت كارولين قائلة:

- «إن والدي بالتأكيد لم يتجاهل دورندا تماما؟ انها تستحق نصيبا مثلى فى الميراث».

ورد السيد ولكنز غاضبا:

- «يا ابنتى العزيزة دعينى أكمل. لا أعتقد أنك تدركين، وكذلك والدك أنه بمجرد سداد كل الديون المتعلقة لن يتبقى ما يمكن اقتسامه. طلبت منه مرات عديدة أن تتدربى على بعض الأعمال لتتمكنى من اعالة نفسك اذا اضطرتك الظروف الى ذلك، لكنه دائما كان يتجاهل الأمر ويجيب بأنك سعيدة وانه يريدك قريبة منه طوال اليوم. وانى لآسف لأنه كان أنانيا فى نظرته تلك. وها أنت الآن فى موقف صعب جدا. والواقع أن الآنسة دورندا أسعد منك حالا. فقد أتيحت لها فرصة العمل، وأصبح مستقبلها مؤمنا فى حين أنك لست مدربة أو مؤهلة لأى عمل».

- «هل تقصد انى سأضطر الى بيع البيت؟».

تنحنح ولكنز ونظر اليها بعطف وقال:

www.elromancia.com

- «لا فقد نتمكن من الاحتفاظ به، لكن لن تكون هناك نقود بعد ذلك».

واتجه الى الباب لينصرف. ثم قال:

- «سأزورك بعد بضعة أيام وسيكون فى وسعى التحدث بتفصيل أكثر عن موقفك المالى. لكنى أنصحك يا سيدتى الصغيرة بأن تفكرى جديا فى اختيار عمل. بعد ذلك سيكون فى وسعى تحديد المبلغ الذى أخصصه لتدريبك».

- «ماذا سأفعل ان لم تكن هناك نقود؟ كيف أدبر حالى؟ لابد من الحصول على نقود من أى مكان».

كانت كارولين تفكر فى النقود وكيف كان والدها ينفقها على شراء التحف وتذكرت فى حزن ماذا كان يقول لها: «انك ياكارولين أعظم كنز وأثمن جوهرة فى مجموعة مقتنياتى».

قطعت دورندا حبل أفكارها قائلة:

- «كارولين أخبرتك أن لدى شيئا أريد أن أقصه عليك».

فأجابت كارولين:

- «نعم. أرجوك تكلمى هل هو شىء يتعلق بعملك؟».

-«نعم أعتقد أنه يتعلق بالعمل ولكن بطريقة غير مباشرة. سأضطر الى تركه لفترة».

- «تتركين العمل؟ لماذا ألست بخير؟».

واسترسلت قائلة:

- «أعلم انك فى حاجة الى راحة، وقد عدت الى بيتك لتستردى صحتك من التزامات الحياة الاجتماعية».

ابتسمت دورندا ساخرة، ولزمت بالصمت فترة، حتى اعتقدت كارولين أنها غيرت رأيها فى البوح بسرها. الا انها خرجت عن صمتها وقالت:

- «سأنجب طفلا».

قالت هذا فى هدوء حتى أن كارولين اعتقدت أن الأمر مجرد مزاح. الا ان دورندا رددت الكلام نفسه ببطء ووضوح وبأسلوب لا يتطرق اليه الشك وقالت بمرارة:

- «سأنجب طفلا. انى لست متزوجة ولا يحتمل ان أتزوج الآن. انه لا يريدنى. حاولت الاتصال به ولكنه تجاهل رسالتى اليه».

اخذت دورندا تدور فى عصبية مفاجئة تحاول حبس دموعها واهتز جسدها وجثت قرب مقعد كارولين وقالت:

- «ماذا أفعل يا كارولين؟ أرجوك ساعدينى. لا تتركينى. انك الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها. انك كل عائلتى».

أجابت كارولين:

- «لا تبكى يا عزيزتى. طبعا سأفعل كل ما استطيع لمساعدتك. أنت تعرفين ذلك».

www.elromancia.com

لم تصدق للوهلة الاولى. هذا لا يمكن أن يحدث لأختها دورندا. انه شيء ممكن أن يحدث فقط لأناس آخرين، ولكن ليس لأختها.

عاشت كارولين حياة بسيطة سهلة محصنة من الجانب السيء من الحياة في حمى أبيها، فجعلها هذا غير مستعدة لسماع هذه القصة. ولم تتح لها ابدا أي فرصة كي تعرف منها أهي على صواب أم على خطأ. ولم يسبق أن طلب منها أحد أمرًا يحتاج الى سعة في الصدر أو الى تأنيب وتوبيخ...

هزتها قضية دورندا وأطلقت لعواطفها العنان فعانقتها معبرة عن كل الحب الذي كان يجيش في صدرها نحوها. حاولت تهدئتها وانتظرت حتى تنتهي العاصفة.

وعندما هدأت دورندا بدأت تروي قصتها منذ البداية:

- «قابلته في حفل أقامه صاحب العمل رينيه احتفالا بعيد ميلاده. لم يكن صديقا له تماما ولكنه كان يقيم معه أثناء وجوده في لندن للعمل الذي أرسلته الشركة فيه. كان وسيم الشكل أسمر اللون فارع الطول على غير عادة الايطاليين».

وهنا انطلقت كارولين:

- «اذن فهو ليس انكليزيا».

- «كان نشطا مرحا. ليس في وسعي أن أقول كيف وقعت في حبه يا كارولين».

واضطرب صوتها ثم واصلت:

- «يمكنني الجزم بأنه أحبني ولم يخرج معي لمجرد قضاء وقت ممتع فقط. كنا نرقص ونتناول العشاء ونذهب الى المسارح وذات ليلة...».

وهنا توقفت دورندا وكأنها تتذكر ما حدث.

- «ذات ليلة عدنا من المسرح وأخذني الى المنزل وتناولنا قليلا من المرطبات وانتشينا بالسعادة والحب المتبادل وعندما وصلنا الى مسكني طلبت اليه أن يتناول فنجانا من القهوة فرفض في بادىء الأمر، لكنه دخل في النهاية وأمضى معي كل الليل».

كانت دورندا تروي قصتها دون النظر الى كارولين، ولكنها لم تلبث أن التفتت وحدقت في عينيها قائلة:

- «كنا شابين عاشقين ونخطط للزواج، وفي اليوم التالي أخذني واشترى لي هذا الخاتم. وفي اليوم التالي كان ينوي أن يطير الى افريقيا ثم الى كندا حيث يمضي ستة أشهر في بعض الأعمال. ثم يعود الى شركته في روما ومنها الى انكلترا ليأخذني الى ايطاليا لمقابلة اسرته هناك قبل زواجنا. وفي الأسابيع الأولى القليلة كان يكتب لي يوما. وكنت في غاية السعادة أشتري قطع الجهاز تدريجيا وانتظر عودته بفارغ الصبر. ومنذ أربعة أسابيع وأثناء وقوفي في الصباح أمام رينيه ليرسمني أصابتني اغماءة فصمم رينيه على إرسالي إلى الطبيب. وبعد الكشف على أخبرني انني حامل فتحطمت. وفي تلك الليلة كتبت الى فينو واطلعته على الخبر ومنذ ذلك الحين انقطعت رسائله. انه لا يريد الطفل ولا يريدني أيضا. كل ما كان يريده ويبحث

www.elromancia.com

عنه هو مجرد اللهو والعبث».

كان الألم البادى فى عينيها مصدر عذاب لكارولين. انكبت دورندا بوجهها على ركبتى كارولين كأنها تستسلم لدموعها. سكتت تماما واعتقدت كارولين بأن النوم قد غلبها. إلا أنها حركت يدها وبسطتها فأمسكت بها كارولين وسرت حرارة يدها فى أصابعها الباردة.

تابعت دورندا قائلة:

- «هل صدمتك يا كارولين؟».

- «اعتقد أننى صدمت بادىء الأمر أما وقد أوضحت لى ما حدث وفسرت شعورك نحوه فقد بات الأمر واضحا. أنا ليست لدى خبرة فى الحب مثلك ولكننى اعتقد أن الحب معناه العطاء فكلما زاد حبك زادت رغبتك فى العطاء».

وتنهدت دورندا ونظرت اليها فى محبة وقالت:

- «انك ملاك يا كارولين. ذات يوم ستجعلين زوجك سعيدا حقا. وأتمنى من كل قلبى أن يكون جديرا بك».

لكن كارولين لم تعرها أذنا صاغية فقد كانت تفكيرها منصبا على إيجاد طريقة يمكن بها التغلب على هذه المشكلة التى لم يسبق لها ان عالجت مثلها. ينبغى ان تؤمّن لأختها كل اسباب الراحة فى أثناء فترة الحمل وبعد ان تتم عملية الولادة.

٢ ـ هروب مفاجىء

أمضت كارولين ليلتها التالية تحاول جاهدة إيجاد حل لمشكلة اختها وبطيبة قلبها حملت على منكبيها هم دورندا الثقيل. لكنها لم تتمكن من الاهتداء الى حل يسمح لها بالبقاء فى المنزل مع دورندا، وفى ذات الوقت تكسب نفقات معيشتهما.

وأمضت دورندا كذلك ليلة أرقة.

وعندما أزاحت كارولين ستائر المطبخ غمرت الشمس المكان على الفور وشعرت بارتفاع فى معنوياتها.

بدأت تدندن أثناء اعداد طعام الفطور لدورندا ولنفسها. وقد جهزت به صينية لتصعد الى الطابق الاعلى.

وفى نفس الوقت دق جرس التليفون. فرفعت السماعة:

- «كارولين؟ الحمد لله انا أعرف أن لدى جرأة كبيرة لازعاجك بهذه الطريقة ولكن هل يمكنك أخذ الطفلين المزعجين مرة ثانية هذا الصباح، اتصل بى المزارع براون وأخبرنى أن أحسن افراسه ستلد ويبدو أنها ولادة عسيرة. ولم تحضر بعد الفتاة اليائسة كاريغا لترعى

www.elromancia.com

الطفلين وليس فى وسعى اصطحابهما معى».

ضحكت كارولين وقالت:

- «أنت تعرفين أنه لاداعى للاتصال بى تليفونيا مسبقا. عليك فقط احضارهما الى هنا وأنت فى طريقك الى مزرعة براون، وكم أر... فى صحبتهما».

- «بارك الله فيك يا ابنتى. كنت على ثقة من انه يمكن الاعتماد عليك. حقا لابد أن أعترف بالجميل لأى شخص يرعى الطفلين المزعجين دون إصابته بانهيار عصبى. اذا كان هذا يناسبك سآتى بهما خلال نصف ساعة. الى اللقاء».

عندما انتهت المحادثة التليفونية ظهرت دورندا فى أعلى السلم وقالت:

- «مع من كنت تتحدثين؟ سمعت نبرات صوتها من غرفة نومى. هل شب حريق وتسبب فى هياجها؟».

ضحكت كارولين وقالت:

- «فى الواقع انها ليست نارا واحدة. إنهما كرتان ملتهبتان من النيران وسوف تنزلان علينا بعد نصف ساعة بالتمام. اسرعى وتناولى طعام الافطار اذ انك لن تنعمى بالسلام عند وصولهما».

وبينما كانت دورندا تتناول طعام الفطور شرحت لها كارولين المأزق الذى وقعت فيه صديقتها جين مارتن:

- «ان جين تعمل جراحة بيطرية فى منطقتنا. وقد بدأت ممارستها

لهذا العمل هنا منذ ثلاث سنوات تقريبا. وبعد مضايقات كثيرة تحملتها من مزارعى المنطقة أثناء مباشرتها لمهنتها لكونها امرأة استطاعت أخيرا إثبات جدارتها بأنها من أحسن الأطباء البيطريين الذين عملوا فى هذه الجهات ، وقد عرف المزارعون الآن قدرها الكبير حتى انهم توسلوا اليها بعد زواجها ألا تترك العمل . ولما كان زوجها ضابطا بحريا يذهب فى رحلات طويلة فى أغلب الوقت، فقد استمرت فى عملها . فلما وضعت التوأم منذ ثمانية عشر شهرا عانت مشقة كبيرة من استمرارها فى العمل. ولكن حب الناس لها جعلها تبادر الى تلبية كل ما يطلبه منها المزارعون».

وفى هذه اللحظة سمعتا باب سيارة يغلق بعنف وصوت اندفاع شديد فى ممشى الحديقة والطفلان يناديان بصوت عال:

- «خالتى كارولين، خالتى كارولين!».

ألقى الطفلان بجسديهما الصغيرين على كارولين وبينما هى تحتضنهما وتقبلهما اندفعت أمهما الى المطبخ وبدأت تقول:

- «أكون سعيدة لو كسرت رقبة تلك الفتاة! لقد تسببت لى فى ورطة».

- «لم تقولى لى يا كارولين إن لديك زائرة، اذن لكنت قدرت الظروف وأعفيتك من عبء ومسؤولية هذين الطفلين».

وألقت نظرة اعتذار الى دورندا. لكن دورندا قالت:

- «أرجوك يا سيدة مارتن ألا تغيرى رأيك بسببى. أنا متأكدة من

أننى والتوأم سنكون فى وئام تام. إضافة الى أننى لست زائرة فأنا أعيش هنا، وكارولين هى أختى».

مدت جين يدها وقالت:

- «لابد أنك دورندا. سمعت الكثير عنك من كارولين حتى لأشعر بأننى أعرفك من قبل. أرجوك نادينى باسمى مجردا جين واذا لم يضايقك ذلك فاننى سأناديك دورندا».

ولما تأكدت الأم من ترحيب كارولين ودورندا بولديها توجهت الى سيارتها وحين همت بركوبها نادت على كارولين قائلة:

- «فاتنى إخبارك أن تلك الفتاة الفظيعة التى كانت ترعى الولدين اشتغلت فى مصنع الأحذية ولم تهتم حتى بمجرد إخطارى بذلك. وفى هذا الصباح كتبت لى كلمة قصيرة وضعتها فى صندوق البريد وهى لم تستطع حتى مواجهتى. سوف أمزقها إربا عندما أراها».

وانطلقت بسيارتها متذمرة.

قالت دورندا:

- «يالهما من طفلين حبيبين أليسا رائعين حقا؟».

وافقتها كارولين وهى تضحك ثم التقطت أقرب الطفلين وأجلسته فى حجرها. وخطرت فى بالها كلمات جين الأخيرة فقالت:

- «ان هذا يعنى الآن أن جين تبحث عن شخص يرعى الطفلين بصفة دائمة».

كفت دورندا عن مداعبة الطفل الآخر وقد انتابها شىء من الدهشة اذ بدت على وجه كارولين انفعالات تتراوح بين الاثارة والابتهاج. وردت قائلة:

- «اعتقد ذلك. لكننى اخشى من اغراءات الأجور الكبيرة فى مصنع الأحذية فى نيوهام، ان من شأنها التقليل من فرص التوصل الى من يخدمها. وفى أى حال فان فتيات اليوم يتطلعن الى أعمال أرقى من خدمة المنازل ورعاية الأطفال».

قالت كارولين وهى منفعلة:

- «ألا ترين؟ يمكننى القيام بهذا العمل، سبق لى ورعيت هذين الطفلين وقتا طويلا وأنا أعلم أنها لن تعترض على ذلك. اضافة الى أننى أحب هذا العمل كثيرا وأعلم أنها تدفع عن ذلك أجرا كبيرا. وهكذا يمكننى البقاء معك هنا طوال اليوم وإنى واثقة من أن جين لن تعترض على احضار الطفلين إلى هنا بدلا من أن أذهب الى بيتها».

- «لا، لن أسمح لك بأن تكرسى حياتك للأعمال المنزلية وأنت فى سنك المبكر هذه. يجب أن تتطلقى إلى العالم مع من هم فى مثل سنك وتترددى على الحفلات الراقصة وتلتقى بالشبان. أما أنا فقدت حدت عن الطريق الصحيح ولا أنوى جعلك تعانين بسبب أخطائى».

وضعت دورندا يدها على كتف كارولين ووضعت قبلة على جبينها وكأنها تنهى المناقشة بهذه القبلة الرقيقة. وقالت:

- «لا تقلقى سأتدبر الأمر بطريقة ما».

www.elromancia.com

لكنها كانت مخطئة فالمناقشة لم تنته بعد. لم يكن عند كارولين اية نية للتنازل بسهولة عن فكرتها التى سيطرت عليها، ولم يكن لديها ميل لأى عمل اقترحته اختها. ذهلت دورندا من تصلب رأيها الذى جابهتها به. وبعد ساعات من الجدال رفضت كارولين فكرة دورندا بأنها فى حاجة الى مقابلة الشبان وقضاء وقت من الترويح عن النفس وما الى ذلك.

فى نهاية الأمر، وبعد هجوم جديد من كارولين استسلمت وقالت:

- «حسنا.حسنا. لقد فزت يا كارولين اذا كنت تقدرين تماما ما تقولين وما ستقومين به. لقد استسلمت».

توجهت كارولين الى مقعد دورندا وجثت فى قربها وقالت:

- «يجب أن تعترفى بأنه حل رائع. أما ما يتعلق بالحب واللهو فأنت تعلمين جيدا اننى كنت دائما سعيدة بالبقاء فى المنزل مع والدى ولم أقابل أبدا رجلا راقنى».

ثم استطردت بصراحة:

- «أعتقد أنى فتاة عانس بطبيعتى».

ابتسمت دورندا وأخذت تتخيل كارولين بعد خمسين عاما من الآن وهى عانس وفى بيت فى الريف تحيط بها القطط من كل اتجاه. شعرت دورندا بحب يجيش فى قلبها نحو كارولين وبشئ من الخجل عندما تصورت لو أن الأوضاع انعكست. هل كانت تضحى بنفسها وباخلاص فى سبيل كارولين مثلما فعلت هى. وكادت الدموع تسقط

من عينيها. ثم وقفت ووضعت يديها على كتفى كارولين وقالت لها:

- «أتمنى أن أرد لك وفاءك نحوى فى يوم من الأيام. ليس لأحد أخت أروع ولا أجمل منك».

- «هيا لنتناول بعض الطعام. اننى جائعة».

كانت الأشهر المقبلة سببا فى تغير دورندا تغيرا مثيرا اذ تحول قوامها النحيل الممشوق الى كروى لامرأة تبدو من الوهلة الاولى فى حالة حمل. ولم تعد أى خطة أو ترتيبات لازمة لقدوم مولودها.

كانت كارولين تصنع ملابس تريكو صغيرة وجوارب وقفازات للمولود الاتى.

اما دورندا فكانت تبدو عليها الكآبة مما جعل كارولين تشعر بالكثير من القلق، فصممت على استدعاء الدكتور توماس طبيب العائلة لاجراء فحص عام لاختها وجاء التقرير صريحا:

- «من الناحية البدنية صحتها كالحصان، لكننى قلق على حالتها النفسية. بالمناسبة أين زوجها؟».

ارتبكت كارولين. لا تستطيع إفشاء سر دورندا التى وثقت بها فراوغته قائلة:

- «إنه فى عمل فى الخارج».

- «آن الأوان لكى تكتبا اليه حتى يعود و يرعى زوجته. انها تتألم بسبب غيابه عنها وهذا هو مصدر ازعاجها. انها تتألم بشدة. اذا لم يحضر عاجلا فلن أكون مسؤولا عن العواقب».

ثم حمل حقيبته وانصرف. وعندما همّ بدخول السيارة قال:

- «سأزوركم فى الاسبوع المقبل. وسأطلب من نورا ماسون زيارتكم أثناء عيادتها لمرضاها. فمن مصلحة أختك أن تتعرف على القابلة قبل موعد الولادة، اذ ستجعلها تقوم ببعض التمرينات الرياضية، وتجرى لها بعض الفحوص العامة».

كانت كآبة دورندا وعدم مبالاتها وتكرار تنهداتها أثناء نومها ليلا نتيجة لتصرفات فيتو فيكارى الخسيسة معها. فهى مازالت تحبه برغم أن سلوكه لم يكن مهذبا على الإطلاق.

صعدت كارولين الى غرفة دورندا حيث كانت مستلقية على فراشها مهمومة وفاترة الهمة وقد عزمت على أن تحاول ملاطفتها مرة أخرى وجعلها تكتب رسالة ثانية الى حبيبها.

- «ما رأيك لو بعثت برسالة اخرى الى حبيبك؟ ربما حدث شىء لرسالتك الاولى، اذ فالرجل يطوف حول العالم والله يعلم ما يمكن أن يكون قد حدث له، وليس من العدل الحكم عليه من رسالة واحدة ربما لم يتسلمها من الأساس».

ولاحظت أن هناك شيئا من الاهتمام بدا على وجه أختها دورندا فقالت:

- «لماذا لا تكتبين له. ربما كان مريضا فى المستشفى أو وقع له حادث ما».

وبدت نظرة ذعر على وجه دورندا مما أعطى كارولين أملا جديدا

وصدق حدثها. فقد لجأت دورندا اليها وهى حزينة وقالت:

- «هل تعتقدين حقا أنه ربما يكون طريح فراش المرض فى جهة ما من دون ان تكون هناك وسيلة للاتصال به؟ آه أتمنى ألا يكون مريضا. او ان يكون وقع له أى حادث. فى اى حال سيبحث عنه ابن عمه اذا ما حدث له ذلك».

سألت كارولين:

- «ابن عمه؟ اننى لم أسمعك تذكرين ابن عمه من قبل. هل قابلته؟».

- «لا لم أقابله. كارولين هل تظنين أن حادثا وقع لفيتو؟ يجب أن أعرف. فلعله يرقد مريضا فى مكان ما. بل لعله مات!».

شحب لون وجه دورندا وسيطر عليها الذعر وطلبت من كارولين أن تأتى لها بحقيبة الرسائل من فوق منضدة التزين.

ولم تلبث أن بدأت فى كتابة الرسالة وهبطت كارولين السلم بخطوات مرحة راضية عن نفسها وبدا لها ان دورندا ستتغلب على الكآبة وتعيش حياتها مرة أخرى.

بعدما بعثت بالرسالة، كانت دورندا انسانة مختلفة تماما عما كانت عليه قبل ذلك. كانت تبدو وكأنها تتشبث بالتعليل الذى ساقته كارولين لعدم وصول رد فيتو على خطابها، تماما كما يتعلق الغريق بقشة.

تحدثت كثيرا عن جنينها وقالت إنها ستطلق عليه اسم فيتو نسبة الى والده. وطلبت شراء عربة أطفال وسريرا خفيفا من النوع الذى

www.elromancia.com

يمكن نقله وفكرت جديا فى شراء دمية، دب صغير وكانت امارات القلق تبدو واضحة عليها كلما وجهت سؤالها المتلهف الى كارولين كل صباح:

- «هل فى بريد اليوم أى رسالة لى يا كارولين؟».

ولم تذكر اسم فيتو ولو حتى مرة واحدة بعد أن بعثت اليه برسالتها الثانية وكان الخوف يعتصر قلب كارولين كلما اقتربت نهاية الاسابيع الخمسة دون وصول الرد.

بعد انقضاء سبعة أسابيع عادت دورندا الى كآبتها من جديد وأخذت تبكى بحرقة كل ليلة حتى اعتقدت كارولين انها ستموت من التعاسة. ولامت نفسها قائلة: «هذا كله بسببى. كان على أن ادع الامور كما هى لعلها استطاعت التغلب عليها. ولكنى كنت على يقين من أن لسكوته سببا لأن دورندا لا يمكن أن يكون تقديرها قد ساء الى هذا الحد بالنسبة الى الرجل الذى أحبته. اننى أبغضه بشدة لأنه تسبب فى تعاستها ولن أغفر له ذلك أبدا».

وغمرتها الحسرة. وخيل اليها أن شخصا ما يناديها فرفعت رأسها لتحدد مصدر الصوت، وبعد لحظة ترقب سمعت نداء دورندا لها:

- «كارولين، كارولين!».

انطلقت بسرعة الى غرفة دورندا. كان الليل فى بدايته ورأتها تعصر خاصرتها من شدة الألم. ولم تكد ترى كارولين حتى لهثت قائلة:

- «أسعفينى بطبيب لأننى اعتقد اننى سأضع الآن».

اندفعت الى الطابق الأرضى حيث التليفون واتصلت بالطبيب، الذى ما لبث ان حضر ومعه نورا ماسون.

كانت كارولين جالسة فى جوار دورندا تمسح العرق المتصبب على وجهها الشاحب وهى ممسكة فى الوقت نفسه بيدها المرتعشة تلاطفها قائلة:

- «لا تخافى يا عزيزتى سأظل معك وسينتهى كل شىء على خير».

- «لست حريصة على الطفل. ألا ترين؟ أريد أن أموت. فلم يعد لدى ما أعيش من أجله بعد الآن».

- «لا أعتقد أنك تعنين ما تقولين؟ وماذا عن الطفل؟».

- «ربما مات هو الآخر. فالأمر بكل بساطة هو أننى لا أبالى بشىء يا كارولين وسيكون ذلك أفضل. تظنين اننى لم ألاحظ ما حل بك بسببى ولكن هذا غير صحيح على الإطلاق. حاولت أن تكونى مرحة وسعيدة من أجلى بينما كنت طوال الوقت قلقة حتى الموت. وأستطيع التأكيد بأنك كنت تبكين أيضا».

دخل الطبيب ونورا ماسون غرفة النوم وخاطب الطبيب دورندا بحزم قائلا:

- «لو سمحت يا سيدتى، كفى بكاء والا وضعت طفلا لا ينقطع عن البكاء ويزعجك طوال الليل بنوبات غضبه المتتالية. أخرجى يا كارولين. أنا ونورا نستطيع تدبر أمرنا وسندعوك عندما تستدعى الحاجة».

وفجأة انطلق صوت مدو تبعه خروج المولود. فانطلقت كارولين

www.elromancia.com

تعدو مسرعة الى الطابق الاعلى فلما بلغت باب غرفة النوم كانت نورا تطل برأسها من خلاله، وقد علت وجهها ابتسامة عريضة وهى تقول:

- «انه ولد له عينان سوداوان جميلتان، وله خصلات من الشعر الاسود».

وبعد خمس دقائق كانت كارولين تحدق فى ابن أختها. ثم قالت لدورندا:

- «أليس هذا أجمل وأرق مخلوق رأيته فى حياتك؟».

دعا الطبيب كارولين الى الخروج من الغرفة وسألها وهو متجهم:

- «هل استدعيت والد الطفل؟».

ارتبكت كارولين وهى مازالت منزعجة من عدم اكتراث دورندا وابتلعت ريقها قبل الإجابة:

- «نعم لكن تعذر عليه الحضور».

رماها الطبيب بنظرة حادة وقال:

- «تصرفات دورندا لا تعجبنى بوجه عام. ليس فى إمكانك التأثير على زوجها العابث الملعون؟ فهى فى أمس الحاجة اليه».

لم تجب كارولين بل هزت رأسها علامة الإيجاب. فتابع الطبيب متعاطفا معها:

- لا تقلقى كثيرا يا ابنتى. لقد تحملت ما هو فوق طاقتك وقد حان الوقت لتتزوجى شابا يحمل عنك هذا القلق».

صادفت كارولين فى الايام التالية مشقة بالغة فقد كان عليها مواصلة العمل فى غسل ملابس الطفل واعداد رضعاته واعداد مشروبات ساخنة وألوان من الطعام مغرية لدورندا لتساعدها كى تستعيد عافيتها. ولم تكن تتناول من الطعام الا القليل لتوهم دورندا بأنها تناولت وجبة كاملة وتشيع فى نفسها الرضى. أما فيتو الصغير فكان يبكى بكاء متواصلا بلا انقطاع، كما تنبأ له الطبيب. ومضت أربعة أيام حسبتها كارولين شهرًا ولم تعر دورندا طفلها أى اهتمام يذكر بل امتنعت عن ارضاعه أو احتضانه بشكل نهائى.

وحاول الدكتور توماس أن يطمئن كارولين لكن القلق ظهر عليه عندما قال لها:

- «اتركيها هنية لتستجمع قواها فجرحها لن يستمر الى الأبد. هذه صدمة عاطفية جعلتها تبتعد عن العالم. وأنا واثق من أنها ستعود الى طبيعتها مرة أخرى بمجرد وصول هذا الزوج».

واستعادت وعيها على صوت بكاء الطفل فبادرت الطبيب قائلة: «الى اللقاء» دون أن ترد على سؤاله. وأسرعت الى فيتو الصغير، فهو لا يبكى هذه الأيام الا اذا جاع، عكس الأيام الأربعة الأولى التى كان صراخه فيها يعلو حتى يزرق وجهه. وكانت نورا ماسون ترى أن هذا لا يتعدى مجرد انفعال، لكن كارولين كانت تعتقد أن الطفل انما يصرخ لحاجته الى حنان أمه الذى حرم منه.

وتساءلت للمرة الألف:

- «كيف تستطيع دورندا أن تقاوم حبه؟ انها لو حملته مرة واحدة

www.elromancia.com

فقط لما عادت تستطيع الابتعاد عنه».

فى اليوم التالى حملت كارولين الطفل الى أمه وهى راقدة فى فراشها، وكانت تنظر الى النافذة فى كآبة وفى جرأة دفعت بالطفل الملفوف الى أحضان أمه متوسلة اليها:

- «أرجوك احمليه لحظة يا دورندا ريثما أختبر درجة حرارة المياه».

- «لا.لا! ابعديه عنى. انى أرفض أن تكون لى أى علاقة به من قريب أو بعيد».

ثم ألقت بنفسها وانخرطت فى بكاء مرير. فانتزعت كارولين الطفل منها بسرعة وضمته الى صدرها ونزلت به الى الطابق الأسفل بعيدا عن نظر الأم، وهمست له وهى تنظر اليه منهارة:

- «آه يا حبيبى. كيف يمكننا مساعدة امك؟».

ومرت بيدها برفق على وجنته الناعمة الملمس، وهمست له وكأنما تأخذ على نفسها عهدا:

- «سأرعاك يا حبى الصغير. واذا كان لابد من أن أكرس حياتى لك أنت وحدك، فسأفعل ذلك. سأكون لك دائما».

وكفت دورندا عن البكاء، الا أنها عادت الى التحديق عبر النافذة الى الأفق، ولما دخلت كارولين غرفة النوم حاملة صينية الفطور، تذرعت دورندا بالرقة وبدا عليها شىء من الخجل لما حدث. فأخذت كارولين تثرثر معها مغتبطة وهى تتأهب لوضع الصينية على الفراش

وكأن لم يبدر من ناحيتها شىء مزعج. بل لقد حاولت الاعتذار قائلة:

- «أنا آسفة يا كارولين. لقد تملكتنى ثورة غضب. لابد أنك مللتنى كثيرا. سأهبط بعد تناول الفطور الى الطابق الاسفل وأساعدك فى الأعمال المنزلية والطهى وأعمل كل ما تريدينه منى. ولكن أرجو منك شيئا واحدا ألا تطلبى منى العناية بالطفل».

- «حسنا لاتفكرى فى العناية بفيتو الآن يا دورندا. حسبك الاهتمام باسترداد صحتك. سيكون الدكتور توماس سعيدا برؤيتك تحاولين النزول الى الطابق الاسفل. قال أمس إن خير ما أفعله هو تشجيعك على ارتداء ملابسك والقيام بشىء من الحركة».

وتابعت بلهجة التحذير:

- «لكن اياك القيام بأى عمل من الأعمال المنزلية. حسبك الان الجلوس على مقعد فى الحديقة والاستفادة من أشعة الشمس».

كانت دورندا مسترخية فى مقعد مريح فى الحديقة وفى يدها كتاب اعطته اياها كارولين على أمل أن يحفزها الى الاهتمام بالازياء الطريفة وأحدث الاتجاهات السائدة حاليا للموضة فى لندن وأوساطها الراقية.

مر موزع البريد وهو يصفر ثم وضع شيئا ما فى صندوق البريد وبحركة تلقائية أدارت دورندا رأسها بينما اتجهت كارولين ببطء الى الصندوق لتلتقط منه رسالة.

كان وجه دورندا يكتسى بشحوب واضح وهى تتسلم الرسالة وردت

www.elromancia.com

على التساؤل المكتوم لكارولين بهزة رأس بطيئة وشعور بالكآبة:

- «انها من رينيه. ترى ما الذى يريده؟».

كانت خيبة أمل كارولين عظيمة. كانت تتمنى أن تكون الرسالة من فيتو فيكارى. ثم دخلت الى البيت وتركت الرسالة لأختها حتى تطالعها.

وبمرور الأيام، شعرت بشىء من الألم لأن دورندا لم ترغب فى الافضاء اليها بمضمون الرسالة. لكنها كانت تعزى نفسها. فكل يوم يمر يعيد الى وجه دورندا لونه الطبيعى برغم من أنها ظلت تميل الى الصمت.

استمرت جين فى احضار التوأمين. وعندما تأملت كارولين الساعة تبين لها أنهم تأخروا عن موعد وصولهم حوالى ساعة. فقطبت جبينها قلقا وتساءلت ترى ماذا حدث لهم ولم تكد تسمع صوت السيارة تقف أمام المنزل حتى زايلها القلق وانطلق الطفلان يدفعان الباب متجهين الى كارولين، ولحقت بهما والدتهما. كانت جين شديدة الانفعال. ابتسمت كارولين ودعتها الى الجلوس.

قالت جين:

- «وصلتنى اخبار حسنة سيترك جيم عمله فى البحر ويلتحق بعمل هنا. كتب لنا يقول انه لم يعد قادرا على أن يتحمل الفراق ويوم الجمعة القادم سنقابله فى سوث هامتن ثم نذهب لنبحث عن مسكن ونظل فى الفندق حتى يقوم هو بكل الترتيبات اللازمة. آه يا كارولين ليس فى وسعى أن أصف لك مدى سعادتى».

وسألت كارولين:

- «وما مصير عيادتك عندما ترحلين يا جين؟».

- «هذه ضربة حظ أخرى. أتعرفين أن مزارع والد الشاب كولين غرانت تقع على بعد خمسة أميال من هنا؟ تخرج ابنه أخيرا من المدرسة البيطرية وكان يبحث عن عيادة فى مكان قريب من هنا. وقد طلب منى والده منذ أيام ان كنت أرغب فى بيع العيادة، فاستمهلته حتى يتسنى لى التفكير فى الأمر. وقد قررت الموافقة».

ومضت بسيارتها وهى تلوح لكارولين مبتسمة.

كانت دورندا فى الحديقة عندما كانت جين تتحدث الى كارولين. روت لها كارولين ما اطلعتها عليه جين ففرحت لهذه الأخبار لكنها اضطربت فجأة وقالت:

- «لكن كيف ندبر امورنا بعدما تتوقف جين عن طلب مساعدتك».

- «لا تقلقى. سندبر أمرنا وفى أى حال فان الأشهر القادمة ستكون أشهر خير لنا فالحديقة عامرة بالخضر وأشجار الفاكهة لن تلبث أن تنضج ثمارها. لا تخافى فلن نجوع يا عزيزتى».

لكن دورندا لم تقتنع وعضت على أسنانها فى قلق، ثم قالت:

- «سيكون على إحدانا أن تجد عملا».

وحدقت فى عربة الطفل الواقفة فى ظل شجرة فى أقصى الحديقة. ثم أشارت بإصبعها اليها قائلة:

- «هذا يعنى أننى ساضطر للبقاء معه لو ذهبت أنت الى العمل».

www.elromancia.com

لو لم تكن كارولين تعرف أن تصرف اختها سببه حالتها العصبية لعمدت الى توبيخها لاهمالها لطفلها. أما وهذا واقع الحال فقد وضعت نصب عينيها تعليمات الطبيب توماس الذى قال لها: «ان الزمن كفيل بعلاج كل شىء مهما كانت درجة صعوبته. قد يصعب عليك تصديق ذلك يا كارولين ولكن متى بلغت سنى أدركت صحة هذا القول».

قالت كارولين:

- «ليس لدى نية فى تركهما».

سرعان ما بدأت جين والطفلان رحلة الذهاب الى موطنهم الجديد فقد سار كل شىء حسب الخطة الموضوعة بالنسبة للعيادة وبيع المنزل والأثاث، وأخيرا جاء يوم الوداع. وصممت كارولين على الذهاب الى محطة السكة الحديد لكى تكون فى وداعهم. و فى الليلة السابقة لرحيلهم اتفقت مع دورندا على إمضاء الجزء الأكبر من الصباح بعد توديعهم فى شراء بعض الاشياء الضرورية وفى زيارة احدى صديقاتها التى أهملتها منذ فترة، ووافقت دورندا على هذه الخطة بنفس راضية وقالت لها - وهو أمر لم يكن متوقعا منها - ان لا ضرورة لأستعجال أعمالها فى المدينة أو للاسراع بالعودة، لأنها ستلتمس فى العزلة بعض السعادة.

كان الرصيف الذى يقف فيه قطار جين مزدحما فاسرعت كارولين تتقدم الى الأمام.

وودعت كارولين الطفلين بنظرة مكتئبة وانتظرت فى مكانها حتى اختفت آخر عربات القطار.

اشترت حاجاتها ولم تتوقف لتشاهد الأزياء الصيفية.

كانت قد اتصلت تليفونيا بصديقتها الين سوندرز واتفقتا على الذهاب اليها فى أقرب فرصة ممكنة. وكانت تقيم مع زوجها جيم فى منزل شبه منعزل فى أطراف المدينة.

وأسرعت الين الى باب الحديقة تفتحه لكارولين التى كانت تحاول دفع عربة الطفل أمامها.

تناولت الفتاتان الغداء وثرثرتا ما فيه الكفاية. لقد مر الوقت سريعا.

شعرت كارولين بأن الوقت حان لرحيلها. ولكن جيم أصر على توصيلها الى منزلها بسيارته. وعندما ألحت الين فى البقاء استجابت لطلبها وبعد العشاء أصرت كارولين على الانصراف.

ثم لوحت بيدها لصديقتها وجلست فى المقعد الأمامى بعد وضعها فيتو فى المقعد الخلفى.

استبدت الحيرة بكارولين عندما وصلوا الى المنزل ورأته يغرق فى الظلام. وفى بادىء الأمر عللت بأن دورندا لابد أن تكون فى الخارج، لكنها سرعان ما تذكرت أن ذلك غير معقول. دخلت المنزل، ونادت بصوت مرتجف:

- «دورندا أين أنت؟».

ولم تسمع جوابا فأعادت النداء، وقد تملكها الخوف:

- «دورندا هل أنت هنا؟».

كان المنزل ساكنا. وضعت كارولين فيتو على مقعد فى غرفة الجلوس ثم صعدت الى الطابق الاعلى لتتبين الأمر، فلعل دورندا أحست باعياء وذهبت لتنام ، لكن غرفة النوم كانت خاوية. أخذت الهواجس والوساوس تتقاذفها.

هبطت مسرعة الى الطابق الاسفل ودخلت المطبخ حيث وجدت كل شىء مرتبا. كان واضحا أن دورندا نظفت كل شىء وغسلت الاطباق لكنها وجدت الطعام الذى تركته لدورندا فى مكانه.

ثم رأت رسالة على الطاولة فهرعت تفضها وقرأت:

«عزيزتى كارولين»

لاأدرى اذا كنت ستسامحيننى على ما صممت أن أفعله لكننى قررت. سأرحل واعتقد أننى أفعل الشىء الصحيح. الرسالة التى تسلمتها من رينيه يعرض على فيها عملا جديدا معه يقتضى سفرى كمندوبة إلى بلاد كثيرة. وفى اعتقادى اننى لو وافقت فستتاح لى فرصة لكى أرى أو أسمع أخبارا عن فيتو. اذا قابلته واكد انه لم يعد راغبا فى فسأعود. لا تحاولى العثور على فلن أستطيع العودة قبل أن أجده. لا يمكننى اعطاءك عنوانا لأننى سأنتقل من مكان الى آخر أسبوعيا لكننى سأرسل لك نقودا على قدر استطاعتى».

مع كل حبى

أختك المعترفة بجميلك

دورندا

٣ـ زائر غريب!

بدا النهار جميلا وقد أشرقت الشمس منذ الصباح الباكر وغطت أشعتها الذهبية الأفق حتى إذا اقترب المساء فقد الجو حرارته. وانبعث العطر من الجوانب المزهرة حيث استلقت كارولين على وجهها فى الحديقة تحت شجرتها المفضلة. وأخذ فيتو الطفل العنيد البالغ من العمر ستة أشهر تقريبا فى تسلق ظهرها محاولا الإمساك بشعرها. وكانت كارولين تضحك من قلبها وهى تراوغه وتمازحه لتمنعه كلما مد يده نحو شعرها.

لم تسمع كارولين صوت السيارة الهادر عند وقوفها أمام باب المنزل، ولم تنتبه الى ذلك الرجل الذى شرع يراقبهما عن كسب بعينين حادتين.

كان انتباهه مركزا على كارولين وطافت عيناه بخصلاتها الذهبية الخالصة ووجهها الذى يشع جمالا وجاذبية. ثم ألقى نظرة خاطفة على عينيها الملونتين بلون زهرة البانسيه وهى تتقلب محاولة تفادى قبضات الطفل.

www.elromancia.com

خطا الرجل الى حيث كانت كارولين فرفعت بصرها سريعا واذا بها تفاجأ بوجوده أمامها، فنهضت جالسة على الحشيش الأخضر وحدقت فاغرة الفم فى هذا الغريب الأسمر الذى وقف يرمقها بهذا الشكل المريب.

كان طويلا وذا وجه متعجرف وكانت السخرية بادية فى صوته وهو يتحدث:

«هل انت الآنسة لندسى؟»

«نعم، أنا هى ماذا تريد؟»

«هل هناك مكان يمكننا التحدث فيه يا آنسة لندسى؟»

«لماذا لا نتحدث هنا؟»

أخرج حافظة من جيبه الداخلى واستخرج منها بطاقة أعطاها الى كارولين دون أن يتكلم.

ونظرت الى البطاقة ثم شهقت فى دهشة حينما ظهر الاسم أمامها فجأة كان اسمه دومنيكو فيكارى.

تورد وجهها وهى تعيد اليه البطاقة ثم قالت له:

«تفضل معى الى البيت..»

طلبت اليه الجلوس ريثما تعد له فنجانا من الشاى. إنه من أفراد عائلة فيكارى التى ينتمى فيتو اليها. وعندما عادت كان يجول بنظره فيما حوله باهتمام بالغ ثم قال:

«أرى أنك تملكين تماثيل جميلة يا آنسة لندسى، اضافة الى بعض الصور الرائعة. أهى هدايا من المعجبين؟»

فوجئت كارولين بهذا الاسلوب الذى يخاطبها به. لعله يظنها دورندا. كان من الواضح أنه أعد نفسه لمقابلة فتاة متحجرة القلب تسعى وراء المال أو ترغب فى قضاء وقت ممتع.

تذكرت كارولين فجأة أن دورندا ذكرت لها أن هناك ابن عم لفيتو يدعى دومنيكو وتمنت لو استطاعت الإساءة اليه كما أساء فيتو الى اختها. وردت بعذوبة مصطنعة:

«ربما. فعلى الفتاة أن تنظر الى المستقبل يا سيد فيكارى وهل ثمة ما هو أفضل من استثمار المال فى الأعمال الفنية؟»

رمقها بنظرة قاسية، ثم أومأ اليها بالجلوس. وقال:

«ما مدى معرفتك بفيتو يا آنسة لندسى؟»

كادت كارولين ان تجيب بأنها لم تعرفه من قبل، ولا تريد معرفته لكنها تذكرت فجأة ما قاله فى ازدراء عن أعمالها الفنية كما انها كانت قد قررت انتحال شخصية دورندا محاولة بذلك أن تعاقبه على موقفه.

«اعتقد اننى عرفته الى المدى الذى تعرف فيه كل أم أبا لطفلها هذه الأيام. لهونا كثيرا. وتمتعت بهذه العلاقة ولكنه هجرنى مع الأسف وأنا أحمل طفلا. أما فيتو العزيز فهو حر طليق بينما يحاول ابن عمه إصلاح ما أفسده وهو يلهو. أعتقد أن هذا هو مقصدك من هذه الزيارة يا سيد فيكارى؟ فمقصدك هو أن تعزى أم الطفل. ترى كم مرة

www.elromancia.com

اضطررت الى القيام بهذا العمل الممل؟ وهل يروقك ذلك؟»

لم تكن كارولين تتوقع اليد التى امتدت ناحيتها وقبضت على معصمها بشدة وغرست أصابعها الفولاذية فى جلدها الناعم. كان صوته باردا كالثلج وهو يقول:

«مات فيتو يا آنسة لندسى، عندما سقطت الطائرة التى كان يستقلها لتحمله اليك بسرعة. لو أنه انتظر ليجد مكانا فى احدى الرحلات الدائمة فلربما كان حيا الآن. لقد كان حبه لك أقوى من أن ينتظر ساعات قليلة ليصل اليك. وقد شكلت فرقة للبحث عن الطائرة بناء على رغبة زوجة القائد فوجدت الطائرة حطاما على بعد عدة أميال من المدينة ولا أثر للحياة فيها.»

أظلمت عينا كارولين من هول هذه المفاجأة. ثم رفعت عينيها اليه قائلة:

«أرجوك قل إن ذلك غير صحيح، لا فهذا يجب ألا يكون صحيحا. ماذا سيكون مصير الطفل؟ »

أجاب قائلا:

«لقد وضعت خطة لذلك وأرجو أن توافقينى عليها.»

نظرت اليه فى ارتياب ثم تساءلت:

«أى خطة؟»

«اننى ارى أن أسهل حل لهذه المشكلة هو أن نتزوج فى أسرع وقت!»

وقبل أن تخرج كلمة أخرى من بين شفتيه هبت كارولين واقفة وقالت بصوت صارخ:

«هل فقدت عقلك أتزوجك؟ أفضل الموت على أن أفعل ذلك.»

«تمهلى فبزواجنا نكفل للطفل تنشئة تتفق ومنزلة أبيه الاجتماعية وسيكون مستقبله مشرقا.»

ثم نظر بطرف عينيه الى كارولين وتابع:

«وعندما يبلغ سن الرشد يصبح تلقائيا شريكا فى واحدة من أعظم شركات الاستيراد والتصدير فى ايطاليا بل يمكننى فى واقع الأمر أن أقول من أكبر الشركات فى العالم. يضاف الى ذلك انه سيرث مبلغا من المال سأودعه فى أحد البنوك باسمه حالما نتزوج. أتحرمينه من ميراثه لمجرد كونك تحسين نحوى بشىء من الكراهية.»

خيمت فترة ليست قصيرة من السكون غرقت فيها كارولين فى خضم من الافكار بينما كان الرجل يتأملها متفحصا أجزاء جسمها.

استعادت كارولين رباطة جأشها وقالت:

«يا سيد فيكارى، لا يخامرنى أدنى شك فى أنك صادق النية فى مساعدتنا أو فى أنك قادر على مدنا بأكثر مما نطمع اليه لكن شعورى هو أننى يجب أن أرفض عرضك هذا لأننى أشعر بأننى لن أستطيع الانسجام معك ثم أننى عندما اريد ان اتزوج فاننى سأختار بكامل إرادتى رجلا احبه وليست لدى أى رغبة فى الاقتران برصيد فى بنك أرجوك فلتذهب الآن.»

www.elromancia.com

سارت نحو الباب وأمسكت بمصراعه مفتوحا وانتظرته ليخرج.

وفوجئت به ينهض ليفعل ما أمرته به دون أى اعتراض. وعرتها دهشة جعلتها تقف فاغرة الفم عندما رأته يتوقف لينحنى لها وليقول:

«أشعر أن لدينا الكثير مما يتحتم علينا مناقشته يا آنسة لندسى لكنى اتوقع إتصالا هاتفيا بعد أقل من نصف ساعة فى الفندق ولذلك سأذهب الآن الى هناك وبعد العشاء سأعود لأراكما مرة أخرى ولأستكمل الحديث عن خططنا المستقبلية.»

ثم نظر اليها وقال:

«وفى هذه الاثناء سيكون لديك وقت كاف لدراسة اقتراحى فى تمعن وروية فى ضوء مستقبلك ومستقبل الطفل.»

كل هذه القصة لم تستغرق أحداثها أكثر من نصف ساعة. ومع ذلك شعرت كارولين بأنها عاشت حياة بأكملها، ومرت بسلسلة كاملة من الأحاسيس المتباينة. فلم تقابل فى حياتها رجلا مثله استطاع بقوة شخصيته أن يتعبها ثم يتركها وكأنها دمية ممزقة. اتجهت الى الغرفة وجلست مجهدة فى الأريكة التى أخلاها دومنيكو فيكارى منذ بضع لحظات.

لاتزال كلماته الاخيرة ترن فى أذنيها. هل من حقها أن تنكر على فيتو ما سيرثه من عائلة فيكارى؟ عضت على شفتيها من الحيرة وتفجرت فيها المرارة التى طالما قاومتها لفترات طويلة وهى تتذكر تصرفات دورندا المجردة من كل عاطفة. ومع أن كارولين حاولت أن تلتمس الأعذار لأختها الا أنها كانت تحس بالأسى كلما تذكرتها.

كانت كارولين مضطربة وقلقة صباح اليوم الذى زارها فيه السيد ولكنز وكيل اعمال ابيها. كان قد اتصل بها طالبا منها التوجه الى مكتبه فى أسرع وقت لينقل اليها ما عنده من أخبار فلما وقف على الصعوبات التى تصادفها فى التنقل وسط المدينة هى والطفل عرض عليها أن يحضر هو إليها فى اليوم التالى.

قال ولكنز:

«تطور الأمر بطريقة الصدفة يا آنسة لندسى. لعلك تذكرين اننى أشرت فى الماضى الى أسهم للمرحوم أبيك. وانه ليسعدنى إبلاغك أن عندى عروضا ممتازة الآن من زبائن يريدون شراءها. فالشركة التى استثمر فيها المرحوم والدك ماله، فاجأت الجمهور بسلعة مرغوبة وها هى أسعار الأسهم تقفز الآن فى سوق الأوراق المالية. ومع الوقت، أعتقد أن فى وسعى القول باطمئنان كبير أنك ستحصلين على دخل جيد من هذا الاستثمار.»

وكان قد فرك كفيه فى سعادة وهو يتنبأ لها بحظ سعيد. ولكن سعادته لم تدم سريعا إذ انقلبت إلى صدمة وذهول عندما أصرت على بيع الأسهم فورا بدلا من إبقائها فى الشركة. وتمسكت برأيها، فاستجاب على مضض لقد جنبها هذا المال غير المتوقع التفريط فى مقتنيات أبيها الثمينة بالبيع.

التفتت الى الساعة وأدركت أن الوقت حان لحمام فيتو.

كان الطفل يترنم بصوت عال وينثر الماء بشكل عشوائى على كارولين عندما عاد دومنيكو فيكارى.

www.elromancia.com

سمع صوت ضحكاتهما منبعثا من الحمام وبخطوات واسعة ارتقى السلم ودخل عليهما. وكانت كارولين فى هذا الوقت ترفع فيتو من الحوض وللمرة الأولى بدا منه أنه لاحظ فيتو، وارتسمت على وجهه ابتسامة صبيانية غير متوقعة وهو ينظر اليها بينما كانت تحاول تجفيف الطفل.

رفع الطفل وقال:

«دعينى أتولى الامر، فقد حان الوقت لاجعله يألفنى»

ثم رمقها بطرف عينه وقال:

«أما أنت، فسأسعى جاهدا الى تحسين علاقتى بك فيما بعد.»

ارتبكت كارولين وشعرت بالحمرة تخضب خديها من وقع هذه الكلمات بينما طفقت عيناه الجريئتان تتفحصانها، فأخذ كرهها له يزداد فى أعماقها.

فى هذه اللحظة انزلقت المنشفة عن كتفى الطفل وأشار دومنيكو مندهشا الى شامة على هيئة قلب بادية على جلد كتف الطفل الوردى وسألها:

«هل ولد بهذه الشامة؟»

«نعم لماذا؟ كان الدكتور توماس أول من لاحظها بعد مولده مباشرة. أرانى إياها وأبدى اعجابه الشديد بدقة شكلها.»

نظر الى كارولين والحيرة تعلو وجهه ثم قال:

«حسنا يا آنسة [illegible] قد تأكدت الآن انه ابن فيتو بالفعل إذ من

غير المعقول أن نعزو الى المصادفة ولادة طفل حاملا العلامة نفسها التى يولد بها كل ذكر فى عائلة فيكارى على مدى الأجيال المتعاقبة».

كان ما يقصده واضحا. فالى هذه اللحظة كان الشك يخامره فى أن يكون الطفل هو ابن فيتو ولكن الشامة كانت بمثابة الدليل الذى اقنعه. كادت كارولين تختنق سخطا. وغضبت لمجرد شكه فى أنها؟ وهى تقوم بدور دورندا؟ فتاة منحلة لا تعرف من هو والد ابنها. وفى هذه اللحظة أحست كارولين بأن عليها تلقين هذا الرجل المتغطرس درسا فقالت:

«لا أعتقد أننى قابلت فى حياتى رجلا كريها مثلك.»

وفى غير اكتراث أشار الى الطفل المتدلى بينهما والذى كان يحاول مغالبة النوم الذى أخذ يستبد به، ثم قال:

«اقترح أن تأخذى هذا الصغير الى فراشه يا آنسة لندسى، وعندما تعودين نستأنف الحديث مرة أخرى.»

أخذت كارولين تبحث فى خزانة ملابسها عن ثوب معقول، وكان الثوب الوحيد الصالح مصنوعا من القطن ومغسولا وألوانه غير واضحة فارتدته على الفور. وهبطت الى حيث كان ينتظر.

استأذنها فى أن يدخن فسمحت له، ثم جلس يحدق فيها وفاجأها قائلا:

«ألا تظنين أن الوقت قد حان لأعرف اسمك؟»

فارتبكت من هذا السؤال غير المتوقع وأجابت دون تفكير:

«اسمى كارولين.»

www.elromancia.com

«كارولين؟ اسم لطيف يناسبك تماما. لقد اطلعت على قصتك مع فيتو بمحض الصدفة عندما وقعت يدى على الرسالة الاخيرة التى تقولين فيها إنك ستلدين قريبا، كان كل ما ورد فى الرسالة يدل على انك حزينة وتعانين من اليأس والإحباط.»

ومرة أخرى علا الاحمرار وجه كارولين بعدما أدركت أنه يعتقد بأنها هى من كتب تلك الرسالة.

بدا عليه التردد قبل أن يوجه إليها سؤاله:

«هل لديك أسباب تجعلك تظنين أن فيتو كان متورطا فى علاقة بفتاة أخرى فى وطنه؟»

ورجعت بذاكرتها الى حديثها مع دورندا محاولة قدر استطاعتها أن تتذكر ما اذا كانت هناك فتاة ورد ذكرها مع فيتو لكنها لم تستطع الاهتداء إلى شىء. وقالت:

«لا. لا أعتقد هذا.»

«إن سبب سؤالى هذا هو انه وصلتنى بعض اشاعات عن علاقة المفروض أنها قامت مع عارضة ازياء فاتنة فى لندن لم أتمكن من الاهتداء الى اسمها أو مكان عملها ولكننى أعتقد أنهما كانا يظهران معا بشكل يومى. هل أنت واثقة من أنك لا تعرفين أى شىء عن هذه الفتاة؟»

فى هذه اللحظة بالذات شعرت كارولين بأنها لم تعد قادرة على الاستمرار فى خداعه وهمت بأن تخبره الحقيقة، ولكن قبل أن تشرع فى الكلام صرخ غاضبا:

«استغربين هذه الشكوك؟ لقد سمعت الكثير عن هذه العلاقة مع فتاة وصفت بأنها سمراء تشبه نساء وطنى، ثم قدمت الى هنا لأجد زهرة انكليزية لها شعر ذهبى وجلد كالمخمل الأبيض تدعى أنها أما لابنه.»

وبعدما رمقها مطولا تابع:

«كان هذا هو السبب الذى جعلنى أعرض عليك الزواج. كان اختبارا إن انت أردت تسميته كذلك. لو أنك أسرعت بالموافقة على عرضى لكنت عرفت أنك فقط تبحثين عن زوج ثرى، ولعاملتك من هذا المنطلق. ولكن بما أن رفضك هذا العرض كان جليا واضحا وبما أننى الآن أملك دليلا على أن هذا الطفل هو ابن فيتو فلا يسعنى الا أن أتقدم اليك باعتذارى طالبا أن تغفرى لى شكى ويهمنى أن تعرفى أن عرضى لك لا يزال قائما.»

وشهقت كارولين قائلة:

«لكننى لا اريد أن أتزوجك فمنذ اللحظة الأولى التى تقابلنا فيها وأنت تحاول إثارتى متعمدا. انك تنظر الى وكأنى واحدة من الجوارى اللواتى حملهن أجدادك الى روما فى مركبات. صدقنى يا سيد فيكارى اننى لا أتمنى أن أصبح زوجة لقيصر ومع ذلك فأنا أشكرك على هذا الشرف العظيم الذى منحتنى اياه.»

علت شفتيه ابتسامة قصيرة وقد ضاقت عيناه وقال:

«اذا أرجو ألا يكون لديك أى مانع فى أن يعود ابن عمى الطفل الى منزله الشرعى.»

«ماذا تعنى؟»

«أعنى يا كارولين أن ابن عمى يجب أن ينشأ ويترعرع فى البيئة ذاتها التى نشأ فيها أبوه. ستكون له المزايا التى كانت لأبيه والشعور بالأمان الذى ينبع من كونه عضوا فى أسرة من أكبر العائلات ثراء فى أوربا. وهذا ما أستطيع القيام به من أجله ومن أجل أبيه أيضا. هل تتكرين أننى أستطيع أن أقدم اليه أكثر بكثير مما تستطيعين أنت تقديمه؟»

فردت عليه بسرعة وقد أضفى الخوف حدة على نبرات صوتها:

«نعم إننى أنكر ذلك، قد يكون لديك مال أكثر مما أتمنى أن أملكه. ولكن ذلك لا يعنى أنك تستطيع أن تجعل الطفل أكثر سعادة. اننى أحبه. انه ملك لى ومهما قلت أو فعلت فلن تستطيع أن تفرق بيننا بأى حال من الأحوال.»

رد عليها فى هدوء:

«لست متأكدا من ذلك، فكما هو معروف إن للمال فوائد ولا ينكر رجل ذو عقل سليم أن فيتو سيكون أسعد حظا فى رعايتى. اننى أعلم تماما أنك أمه ولكن ماذا لديك من الموارد لتستطيعى إعالته؟ انى أنذرك يا كارولين بأننى سأحاربك بكل ما أوتيت من قوة لأسترد الطفل. لماذا لا تعيدين النظر فى اقتراحى؟ دعينى آخذكما الى ايطاليا حيث تشعران معى هناك بالأمان. سيكون فيتو بين أهل أبيه وسيحبونه حتى ولو لم يعرفوا أنه ابن فيتو واذا وافقت على زواجنا فاننى سأتبناه. وبهذه الطريقة سيتعرف الى جدته أيضا. انا لا أستطيع التفكير فى طريقة أخرى لادخاله فى حياتها دون التسبب فى ايلامها

اذا عرفت الحقيقة. ألا تستطيعين إرغام نفسك على الموافقة، حتى تدخلى ولو قليلا من الأمل الى حياة امرأة عجوز؟»

كانت فكرة افتراقها عن طفلها أكثر مما تستطيع تحمله. قال لها إنه سيحاربها ليحصل على حضانة الطفل. وستصبح مهمته بكل تأكيد سهلة اذا ما علم أنها ليست أم فيتو. اذ ليس فى الارض محكمة تمنح حضانة طفل الى خالته التى لا تملك درهما بدلا من قريبه الثرى؟

نظرت اليه فى برود وقالت:

«سأتزوجك.»

انحنى الى الأمام ليلمس خدها الشاحب بأصبعه وقال:

«لا تخافى منى يا كارولين. أعدك بأننى سأرعاكما، هناك شىء آخر.»

«ماذا؟»

«أريد أن تعلمى أن أمر الطلاق من جانبك لن يكون واردا على الاطلاق. هل تفهمين ذلك؟»

«نعم.»

اتخذت كارولين الترتيبات اللازمة لتخزين قطع الأثاث الثمينة عندها لحين شحنها الى ايطاليا. وعهدت بالمنزل الى وكيل أكد لها انه سيباع فى الحال. تم تحضير جوازات السفر وأصبح حفل الزفاف الذى حدد موعده دومنيكو قريبا.

كانت كارولين جالسة أمام النافذة المطلة على الحديقة عندما دخل

www.elromancia.com

دومنيكو من الباب المفتوح. وقال:

«مساء الخير يا كارولين.»

فردت عليه دون أن ترحب به أو تكلف نفسها عناء الاستدارة له:

«مساء الخير.»

فأمسك بكتفها بحنان وأدارها فى رقة حتى صارت فى مواجهته ثم سألها:

«هل هناك ما يضايقك؟»

«لا شىء، فأنا متعبة قليلا ولا أكثر.»

نظر بتمعن الى وجهها الشاحب، واقترب منها ووضع يديه على كتفيها ثم تمتم:

«مسكينة يا حبيبتى الصغيرة. بدأت تشعرين بوطأة الاحداث. أليس كذلك؟»

واسند خده على وجهها ولما ادركت ما ينوى فعله انتبهت وعادت الى صوابها. ثم انتزعت نفسها بعنف من بين ذراعيه مشمئزة وقالت:

«اياك أن تجرؤ على تكرار ما فعلت.»

فرفع كتفيه فى لا مبالاة وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال:

«لا تحاولى إقناعى بانك عفيفة. كونى طبيعية معى.»

«لا تحاكمنى لأننى أحببت ابن عمك يا دومنيكو. لقد حملت ابنه ولا يساورنى الندم على ذلك. وأريدك أن تعرف أنه بسبب الحب الذى كنت أكنه له فقط وافقت على الزواج منك وأنا متأكدة من أن حبه

سيظل حيا فى قلبى إلى الأبد.»

«ليست لدى أى رغبة فى الاستيلاء على ما هو لابن عمى. لكن القدر شاء ان يموت وان أتولى القيام بمسؤولياته. ربما تجدينني بغيضا بعض الشىء الآن لكننى أؤكد لك أننى سأعجبك عندما تتوطد بيننا العلاقات. يجب أن اعترف»، توقف قليلا ثم قال: «إننى أجدك جذابة كما وجدك فيتو من قبل فسحرك لا يقاوم على الإطلاق.»

«آمل اذا ألا تجدنى قد ازددت جاذبية بعد ازدياد التعارف بيننا فأكثر ما ينفر المرأة من الرجل أن يوليها اهتماما ترفضه. وفى وسعى أن اؤكد لك يا حضرة السيد بأن اهتماماتك بى مرفوضة تماما.»

تقدم نحوها وأحاطها بذراعيه وأخذ يداعب شعرها ثم قال:

«مات فيتو ولن يعود الى الحياة ونحن مازلنا شبابا وأحياء. عندما نتزوج سأتوقع منك نسيان كل الرجال الآخرين والإخلاص لى وحدى. اننى اعترف بأننى أريدك من كل قلبى. جاهدت طويلا لأتخلص من هذه الجاذبية التى تشدنى اليك ولكن كلما التقينا زادت جاذبيتك قوة انك تحيرينني يا كارولين، من الواضح أنك لست بلا خبرة ومع ذلك فكلما حاولت الاقتراب منك ابتعدت وتواريت عنى خجلا. أهى لعبة تمارسينها معى فتكونين أحيانًا باردة بريئة وخائفة بهذه الصورة؟ اننى أريد زوجة يا كارولين، زوجة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. أتفهمين ما أقصده؟»

«لا تتوقع منى أن أتزوجك بهذا المعنى، فأنا لم أعرفك الا منذ وقت قصير. لقد وافقت على الزواج منك من أجل الطفل وليس أكثر. ولكن

www.elromancia.com

ألا تعطينى وقتا قبل ان»؟

واحتقن وجهها بالحمرة وهى تتلعثم، ولم تجد من الكلمات ما تنهى به عبارتها فسألها فى رقة:

«قبل أن أجعلك ملكا لى؟»

استدار وتابع:

«يجب أن أكون أمينا معك يا كارولين منذ البداية لأننى لا أحب الخداع ويجب أن أفصح عما أحس به. لا أستطيع أن أضمن لك أننى لن أحاول أن املكك فهذا الهدوء الذى تلتزمينه حتى الآن يغرينى بأن آخذك بين ذراعى وأجعلك تنسين أنك عرفت أى رجل آخر. بإمكانى أن أجعلك تنسين. لكننى أعدك فقط بأننى سأحاول أن أترك لك وقتا كافيا لتعرفينى أكثر، قبل مطالبتك بامتيازات الزواج. أيرضيك هذا؟ هل تتزوجيننى بهذه الشروط؟»

وجدت صعوبة فى اختيار الكلمات التى ترد بها عليه وأرادت الصراخ بأعلى صوتها:

«لا لن اتزوجك» لكنها كانت قد تورطت بالفعل فى قبول الزواج منه من أجل الطفل. وتذكرت عبارته التى رددها مرات عدة «أنا لا أحب الخداع» كيف سيكون رد فعله عندما يكتشف الحقيقة. وسيكتشف بالتأكيد- أنها مارست معه أكبر خدعة - سيطلقها؟ لا، انه أكد لها أنه لن يكون هناك طلاق. ماذا اذا، ماذا ستكون الطريقة الأخرى؟»

وفجأة وكأنها ترى الضوء من خلال نفق مظلم تذكرت «طبعا إبطال الزواج!»

لم تكن تملك صورة واضحة عن الطريق التى ستثير فيها هذا الموضوع بالنظر الى اعتراف دومنيكو بشعوره نحوها. وحدثت نفسها قائلة: «لو كان معنى هذا أن أقاومه كل أيام الأسبوع فسأفعل. سيكون ذلك فقط فى انتظار عودة دورندا الى الطفل، ثم نذهب ثلاثتنا الى منزلنا وننسى كل شىء عن عائلته فيكارى.»

وبعد أن رتبت الامور فى ذهنها على النحو الذى يرضيها، أدارت وجهها باتجاه دومينكو وقالت:

«حسنا جدا. اذا كنت توافق على إعطائى بعض الوقت كى تزداد معرفتى بك فاننى أوافق على الزواج.»

٤- رحلة إلى باريس

عندما حلقت الطائرة ارتفعت معها معنويات كارولين حتى وصلت عنان السماء. ومدت ذراعيها تشير لا إراديا الى كل ما يقع عليه بصرها قائلة:

«لا أصدق ما أرى، فكل شيء رائع كأننى أسبح فى الاحلام.»

«هل هذه هى المرة الاولى التي تسافرين فيها الى الخارج؟»

«الى الخارج؟ انها أول مرة ابتعد فيها أكثر من خمسين ميلا عن بيتى» أصابه هذا القول بالدهشة ولم تكن هذه بالمرة الأولى التى يتساءل فيها عن مدى مالا يعلمه عنها. ثم قالت:

«هل تسافر فى الجو كثيرا يادومنيكو؟»

«إن الرجل الذى يقوم بنشاطات دولية لا يملك اختيارا سوي هذه الوسيلة.»

«لابد أنك تظننى سخيفة إلى حد بعيد. أخشى أن تجدنى رفيقة تمل صحبتها، لأننى أنفعل امام أى منظر جديد أراه.»

«لا داعى للاعتذار إطلاقا. فعلى العكس إننى أنا الذى أصبحت مملا إلى حد كبير وعندما أرى الأشياء من خلال عينيك فكأننى أكتشفها من جديد.»

ونظر الى فيتو الذى كان يغط في سبات عميق وقال لكارولين:

«اعتقد انه من الأفضل ان تنامى قليلا قبل وصولنا الى باريس. لقد أمضيت صباحا حافلا بالعمل ولا أريد أن يغلبك النوم معى هذا المساء عندما أصحبك لمشاهدة معالم المدينة. لدينا برنامج سنعمل على تنفيذه قبل سفرنا غدا الى روما.»

امتثلت لما طلب منها وهى تجد متعة بالغة فى ممارسة ترف لم تعتده في حياتها السابقة، وهو أن يتخذ قراراتها شخص آخر نيابة عنها ويزيل كل عقبة تقف حائلا في طريقها.

لكن النوم جفاها ولم تستطع منع الأفكار من أن تتدفق غزيرة الى ذهنها مسترجعة كل ما مر بها من احداث في الفترة الماضية.

استيقظت فى اليوم التالى وقد غمرها شعور بأن القدر واقع لا محالة. وفجأة أدركت أن هذا اليوم هو يوم زفافها فتهيبت الموقف وفضلت لو أنها تستطيع العدول عن هذه الخطوة.

كان يريد أن يشترى لها ثوبا غالى الثمن ومن أرقى بيوت الأزياء العالمية لكنها رفضت عرضه قائلة:

«لدى ما يكفي من النقود ويمكننى أن أشترى شيئا مناسبا.»

علت وجهه علامات الدهشة ورفع حاجبيه متسائلا:

www.elromancia.com

«لكننى كنت أعتقد أن من الأسباب التى تدخل السعادة إلى قلبك هو أن تحصلى على مال تنفقيه فى شراء الملابس أو أى شىء آخر تريدينه.»

«هل تظن ولو للحظة واحدة ، اننى أتزوجك لسبب آخر غير الاحتفاظ بفيتو معى؟ لو انك تعدنى بالرحيل لأعيش انا والطفل فى سلام فاننى لن أتردد في التخلي عن هذه الحياة المترفة.»

لكنه طبعا لم يفعل. واستمرت ترتيبات الزواج كما خطط لها.

بدأت المراسم الفعلية للزواج كحلم جميل والشىء الذى انطبع فى ذهنها للوهلة الأولى هو الكنيسة الصغيرة حيث وقف دومنيكو فى انتظارها أثناء تقدمها نحوه وهي تتأبط ذراع محاميها السيد ولكنز.

وكانت ترد على كلام القس بصوت منخفض دون أن تجرؤ على توجيه نظرها الى دومنيكو الذى كانت اجاباته مباشرة وموجزة، وعندما وضع الخاتم الذهبى الثقيل فى اصبعها، فوجئت بقلبها يدق بعنف عند احتكاك أصابعه القوية به. وحاولت بكل قوتها انتزاع يدها من يده لكنه ضغط عليها بإحكام.

واستمر قابضا على يدها وهما يتجهان الى الفندق، حيث أعد لهما غداء فاخر وعندما احتجت فى همس بأن أصابعها بدأت تصاب بالخدر أطلق يدها ضاحكا وكف قبضته عنها.

«الرجاء من جميع المسافرين ربط أحزمة السلامة.»

تنبهت كارولين الى الحاضر الذى أصبحت تعيش فيه وبدأت

تتحسس حزام السلامة. فامتدت يد دومنيكو اليها لمساعدتها، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مشرقة.

هبطت الطائرة فجمعا أمتعتهما وقاما بتوديع المضيفة الفاتنة التى انجزت عملها بسرعة فائقة، وتساءلت كارولين في نفسها ترى هل كانت المضيفة تسدى مساعدتها على هذا النحو لو لم يكن المسافر فى وسامة دومنيكو.

وعند وصولهما الى الفندق، رأت فيه مالم تره عيناها من قبل. فقد حجزت لهما شقة توافرت لها أسباب الترف الفاحش، فالفندق الذى نزلا فيه هو أغلى فنادق باريس.

كانت غرفتها آية فى الذوق. ولما عادت الى دومنيكو، كانت امارات البهجة تشيع فى وجهها المشرق.

وسألها مبتسما:

«هل أعجبتك؟»

«انها حقا جميلة.»

«اذا أنا مسرور. أعتقد أنه من المهم أن يكون كل شىء على أكمل صورة فى شهر العسل. ألا توافقين هذا الرأي؟ إن باريس مدينة العشاق يا كارولين.»

طاف وجهه الضاحك فى جميع أرجاء الغرفة وعندما اقترب من وجهها وقبل التفكير فى رد مفحم عضت على نواجزها فى قلق وهى تتساءل:الى متى ستستطيع ابقاءه بعيدا عنها وهو فى هذا السلوك

www.elromancia.com

المغرى؟.

وبعد أن اتفق مع مدير الفندق على قيام أحد موظفيه برعاية فيتو، دفع كارولين وهى فى حالة ارتباك الى سيارة أجرة.

«الى أين نحن ذاهبان؟»

«لا تقلقي سنذهب لشراء أشياء أرى أنها ضرورية يا عزيزتى. لقد اخترت أنت بطريقتك الخاصة ملابس زفافك، لكننى لا أريد أبدا أن أراك فى هذا الثوب البشع الكاكى اللون الذى كنت ترتدينه فى أول يوم تقابلنا فيه. وأرغب فى أول فرصة أن القيه فى نهر السين.»

«الثوب ليس كاكى اللون كما تعتقد. انه بيج ولن أدعك تلقى به فى النهر. انه يعجبنى كثيرا.»

وقفت السيارة أمام صف من المساكن العادية، ولما صعد دومنيكو السلم فتح الحارس الباب.

واندفعت سيدة بدينة لا يدل شكلها على سنها الحقيقية، فتخطت كارولين ولفت دومنيكو بذراعيها فبادلها العناق بحماسة شديدة.

ثم قال لبريجيت:

«أريدك أن تقابلى زوجتى كارولين. انها لا تعرف الفرنسية يا بريجيت.»

التفتت بريجيت وفى عينيها إمارات الدهشة والعجب وقالت:

«زوجتك؟! إن هذا الخبر السعيد سيغضب نصف السيدات

المعجبات بك فى روما.»

ثم أخذت تتفحص كارولين بدقة. لم يفتها شىء منها حتى شعرت كارولين بارتباك شديد وبالخجل من هذا الموقف. وكان دومنيكو فى دهشة كبيرة لكنه آثر الصمت.

تأثرت كارولين بشكل كبير عندما التفتت بريجيت نحو دومنيكو وقالت له:

«آه يا عزيزي دومنيكو انك لرجل محظوظ انها كاملة الأوصاف حقا... او على الاقل ستكون كذلك عندما أنتهى من عملية تضبيطها.»

أجاب دومنيكو:

«هذا هو السبب الذى جئنا من أجله الى هنا. صحيح أن الوردة الانكليزية ذات جمال نادر، لكنها تحتاج الى عملية صقل قبل تقديمها الى المجتمع الراقى فى روما. ألا توافقنى هذا الرأي يا بريجيت؟»

أوافقك ولكن مع قليل من الماكياج فقط لأننا لا نريد إفساد جمالها الطبيعى. هل تتركها لى ساعة أو ساعتين؟ لن أتمكن من تجهيز كل ملابسها فى هذا الوقت القصير على أي حال ولكن يمكننى أن أجهز لها ثوبا لهذا المساء. وربما استطعت أن أعد لها ملابس لتسافر بها الى روما غدا كما طلبت ، أما الباقى فيمكنني إرساله بعد ذلك.»

«كنت أعلم أننى أستطيع الاعتماد عليك. ارجو تحضير بعض الثياب الفاتنة يا بريجيت. ولا بأس من أن يكون بعضه مصنوعا من الدانتيل الأسود.»

www.elromancia.com

ضحكت بريجيت وقد أدركت ما يعنيه. وفى أثناء ذلك انصرف دومنيكو تاركا كارولين تتعثر فى خجلها الشديد.

بدأت كارولين تصاب بدوار وهى تحاول اختيار الاجمل من المجموعة الراقية للأزياء التى عرضتها بريجيت أمامها، وأخيرا قررت الموافقة على ما تختاره بريجيت دون تردد. وعند اختيار ثوب السهرة لليلتها الأولى فى باريس انحبست أنفاس كارولين . وقفز قلبها عندما تصورت رد فعل دومنيكو حينما يرى هذه التحفة الرائعة.

«رائع يا صغيرتى الفاتنة. ابتسمت بريجيت وقالت: الليلة تنعم باريس بمشاهدة اثنين من أكثر العشاق وسامة في العالم.»

احمر وجه كارولين وعانقت السيدة الفرنسية بحرارة وهى تهمس فى خجل:

«أشكرك، أشكرك على كل شىء.»

«هناك أمر آخر لا يجب إغفاله. سأطلب من مصفف الشعر الخاص بى القيام بتصفيف شعرك حتى يتناسب مع تصميم الثوب.»

بعد عودة كارولين من عند الحلاق الذى صفف لها شعرها، كان دومنيكو وبريجيت في انتظاره يتناولان المرطبات. أطلقت بريجيت صيحة فرح عندما رأت الابداع فى تصفيف شعر كارولين لكن دومنيكو لم يقل شيئا واكتفى بالابتسام. ثم نظر اليها عن كثب وقال:

«هل أنت متعبة يا كارولين؟ أعتقد أنه من الأفضل أن تنالي قسطا من الراحة قبل العشاء لتستعيدى نشاطك قبل أن آخذك في جولة

لتشاهدى حياة الليل الساحرة فى باريس.»

واستغربت بريجيت وقالت:

«متعبة؟ كيف تقول عن طفلة فى سنها أنها متعبة الى الحد الذى يمنعها من التمتع بليلة فى أكثر مدن العالم رومانسية وفى شهر عسلها بالذات؟ اذا تابعت هذا الاسلوب فسيساورنى الاعتقاد بأنك قد صرت عجوزا. أبلغيه يا كارولين بأن ما أقوله صحيح.»

«أشكرك يا دومنيكو فلا أشعر بالتعب على الاطلاق. لم أشعر فى حياتى بزهد فى النوم مثلما أشعر الآن.»

كانت الحيرة أول ما انطبع فى ذهن كارولين عن باريس فى الليل بسبب هذه المناظر الفاتنة المتتابعة، من محلات جميلة الى ميادين مضيئة وشوارع فسيحة مصطفة بالأشجار المتناسقة. كل هذه الأشياء رأتها كارولين بعينين منبهرتين، ومن خلال نافذة السيارة المسرعة التى كانت تتجه بهما الى مطعم أنيق، طالما ارتاده دومنيكو أثناء زياراته العديدة للمدينة.

سار تجاهها ووضع يديه حول خصرها النحيل ثم قال:

«أميرتى كارولين، أخشى أن أصطحبك هذا المساء خوفا من أن يقتلنى حسادى فى هذه المدينة، فعندما تراك باريس الليلة ستسجد تحت قدميك.»

قال هذا ثم تقدم منها وأخذها بين ذراعيه.

«دومنيكو، أرجوك، لقد وعدتنى بأن تتصرف وكأننا التقينا لتونا

www.elromancia.com

للمرة الاولى هذا المساء. اذا كنت تعتزم الاستمرار فى هذا السلوك فسأرفض الخروج معك!»

«أنت تطلبين المستحيل بعينه يا كارولين! كيف تتوقعين منى التصرف كتمثال وأنت تبدين جذابة للغاية هكذا؟ اننى أعرف الآن لماذا فقد ابن عمى فيتو صوابه امام جمالك الصاعق.»

خنقت فى صدرها صرخة الألم التى انتزعتها كلماته منها، فالتفت اليها سريعا واتجه نحوها فبادرته قائلة:

«ابتعد! لا أريدك أن تلمسنى، ولا أريدك أن تكلمنى!»

تجاهل طلبها وأمسك بكتفيها وأجبرها على النظر فى عينيه:

«آسف يا كارولين! أرجوك اصفحى عنى. لابد أننى أكثر الناس أنانية لأعاملك بمثل هذه الطريقة. انى أعرف أنك تريدين الاستمتاع بهذه الليلة، وانا مسؤول عن افساد جزء منها، ولكنى سأعوضك أنا متأكد. أرجوك يا كارولين دعينا نفعل كما خططنا وانس كل شىء عدا الحقيقة، وهى أننا هنا لنمتع أنفسنا. هل تسمحين بذلك.»

«لكن، هل سيكون سلوكك حسنا يا دمينكو؟»

«نعم، أضمن لك ذلك.»

وقفت السيارة خارج واجهة المطعم. وعندما دخلا القاعة تركزت كل العيون عليهما. قادهما الكرسون الى مائدتهما، وعندما اتخذا مجلسهما بدأت الفرقة الموسيقية تعزف ألحانا عذبة، وخفتت الأضواء.

وعندما انتهى طعام العشاء كانت قدما كارولين فى تلهف وشوق

الى الرقص. لقد كانت تحب الرقص اذ كانت الحفلات الراقصة النادرة التى دعيت اليها فى الاعياد هى أحلى ما عاشته فى حياتها مع أبيها. وعندما بدأ برقصان فوجىء دومنيكو اذ وجدها تتلاشى بين أحضانه، وكانت خطواتهما تتوافق تماما وهما يتحركان في انسيابية على الأنغام البطيئة الحالمة التى كانت تعزفها الفرقة الموسيقية.

وتمتم قائلا:

«لن تكفى عن اثارة دهشتى. كل يوم أرى فيك شيئا جديدا فأنت الآن خفيفة كالريشة فى يدى. انك ترقصين فى روعة وكمال.»

لم تجبه. فقد فتنت بسحر تلك اللحظة وخشيت أن تنطق بكلمة فتبدد ذلك السحر. وطوقها بذراعيه وأخذ يضمها بقوة إلى صدره وهما يرقصان، ووجنته تستكين على شعرها الذهبى المتوهج. ودون أن تشعر، استرخت عليه ورقصا سوية غافلين عن كل ما عداهما في هذا الوجود وقد استغرقهم سحر الرقصة الأولى. وأعادهما التوقف المفاجىء للموسيقى الى الواقع من جديد. ابتسم دومنيكو لها بينما بقى ذراعه ملتفا حول خصرها، فردت الابتسامة وهى تسحب ذراعها من حول رقبته، ثم سارا تجاه منضدتهما. ولما جلست الى المائدة علق دومنيكو على لون وجهها المتوهج بابتسامة قائلا:

«هل سمعت عن المثل الذي يقول كل الدنيا تعشق العاشق" يا كارولين؟»

«لكننا لسنا عاشقين. أخشى أن تكون الموسيقى قد جرفتنى إلى أكثر مما كنت أتمنى. أرجو ألا تتخيل اننى كنت أغازلك يا دومنيكو. فاننى لم أشعر أننى أرقص مع شخص معين.»

www.elromancia.com

«اذا كان الأمر كذلك فسأحاول الرقص معك دائما. فأنت دائما أكثر تجاوبا فى حلبة الرقص.»

«على أية حال، كانت ليلة رائعة يا دومنيكو. أشكرك للغاية.»

«لكن الليل مازال طويلا أمامنا. لن نعود الى الفندق الآن فمازال عند باريس المزيد الذي تقدمه لنا. انتظرى حتى تشاهدى الاستعراض المسرحى فى كازينو دى بارى أو لعلك تفضلين القولى بيرجير؟»

«اترك لك حرية الاختيار.»

ظلا مرحين طوال الليلة الممتعة التى أعدها دمنيكو. وبعد العشاء تجولا فى سيارة حول المدينة حيث شاهدت بعض المعالم التى طالما سمعت عنها.

اكتشفا أن بينهما أمورا كثيرة مشتركة. فقد كانا يحبان الأشياء نفسها ويضحكان للدعابات ذاتها ويستهويهما النوع نفسه من الموسيقى. بل وجدا أنهما يكرهان الاشياء نفسها.

التفت دومنيكو الى كارولين وهو يتفحصها وقال:

«أنت تبدين متعبة؟ يا لحماقتى اذ لم ألاحظ ذلك! أمضيت يوما طويلا وقد بدأت تتأثرين من جراء الرحلة التى قمنا بها.»

كانا يجلسان فى ناد من أرقى النوادى الليلية فى المدينة اختاره دومنيكو ليتوج أمسيتهما. وكان الجو الدافىء والأضواء الخافتة تدعو إلى النوم. وأحست كارولين بموجة غامرة من الإرهاق تنتابها. وشعرت بثقل جفونها، وبجهد استطاعت أن تنفض التعب الذى استولى عليها.

أمسك بيدها ومازحها برقة قائلا:

«أتدرين؟ إن الشبه بينك وبين الطفل فيتو هو أوضح ما يكون فى هذه اللحظة. فهو يجاهد بالأسلوب ذاته ليتغلب على نعاسه. أرجو من صميم قلبي ألا تستسلمى بالسرعة التى يستسلم بها. وإلا اضطررت لوضعك فى فراشك عندما نعود الى الفندق.»

«أشكرك يا دومنيكو، فلن يكون من الضروري قيامك بهذه الخطوة. سأكون قادرة على الذهاب الى الفراش بمفردي.»

«يا للخسارة، لكننى مازلت أرى أنك تأثرت بما فيه الكفاية في يوم واحد. سنرحل الآن، وعندما نصل الى الفندق سأطلب بعض السندوتشات قبل أن نأوى الى الفراش. هل يعجبك سير الأمور على هذا النحو؟»

«لست جائعة يا دومنيكو. أظن أننى أفضل الذهاب الى السرير مباشرة اذا لم تمانع.»

«كارولين، لكننى أمانع. على أية حال لا تقلقى فلن ابقيك مستيقظة وقتا طويلا.»

أمر البواب بأن يأتى لهما بسيارة وبعد قليل وصلا الى الفندق.

بدأت كارولين تذرع غرفة الجلوس ذهابا وإيابا قلقة من توقع المواجهة الوشيكة والمتوقعة مع دومنيكو. وتمتمت لنفسها «اننى أعرف انه سيحاول التقرب منى الليلة. أستطيع الإحساس بذلك.»

خاطبها دومنيكو قائلا:

«لم لا ترتدين ثوبا يوفر الراحة لجسمك المتعب؟»

«أشكرك يا دومنيكو، لكني مرتاحة فى هذا الوضع.»

«اذا اجلسى واسترخى، لماذا التوتر فأنا لن آكلك!»

رمقته بنظرة عصبية سريعة فاقترب منها، أحاط كتفيها بذراعيه القويين وبدأ قلبها ينبض فى عنف ودون انتظام وهى تقاوم تحديقه فيها.

«لقد وعدت يا دومنيكو بأنك لن تعاود الكرة الى تصرفاتك التى ازعجتنى.»

«لا تخافي، فأنا مازلت عند وعدى.»

«انك تعرف ان هذا ليس صحيحا. قلت انك لن تقدم على محاولة استمالتى كان هذا جزءا من اتفاقنا.»

«كلا. لم يكن هذا ما وعدت به، بل أننا سنكون كشخصين تقابلا للمرة الاولى هذا المساء. واننا سنخرج ونتمتع سويا دون التفكير فى ما حدث قبل ذلك.»

«ان هذا يعنى عدم محاولتك الاقدام على تلك التصرفات مجددا.»

«بالطبع لا. اننى أتصرف بالطريقة نفسها التى كنت سأتصرف بها مع أى فتاة أخرى أمضيت معها ليلة ساحرة كتلك الليلة.»

فهمت كارولين المعنى القاسى الذي تحمله كلماته وكان مضمونها صفعة قوية لكرامتها. فقد كان يعنى أنه لم يحترمها الى الحد الذى يجعله يتصرف معها بطريقة أخرى. لقد خدعها . كان طوال المساء يستغل سعادتها لكى يخطط لهذه النهاية. أرادت كرهه لكنها لم تستطع.

وكل ما استطاعت الشعور به هو الاحساس بالبؤس. وكلما سنحت لها فرصة للتفكير فيه جلب اليها ذلك ألما لا تملك القدرة على احتماله:

«ظننتك رجلا دمثا يا دومنيكو.»

«هل من الضرورى أن أذكرك مرة ثانية بأنك زوجتى يا كارولين؟ ألم تخبرينى عندما سألتك عن مدى معرفتك لفيتو بانك تورطت معه حتى النهاية؟»

ثم صرخ فيها:

«ومع أن وضعك الآن وضع محترم اذ تحملين فى اصبعك خاتم الزواج إلا أنك على الرغم من ذلك تفضلين التصرف فى حذر.»

وحفر بأصابعه فى كتفها بقسوة وهو يجذبها بقوة تجاهه.

«كارولين، انك تجرين منى مجرى الدم من العروق واننى لأكره نفسى من أجل ذلك لكننى لا أستطيع مقاومة الرغبة الملحة فى تذويب الثلج الذى كونته حول قلبك المتحجر.»

وتطاير الشرر من عينيه وهو ينظر اليها قائلا:

«هل انت باردة كالثلج هكذا معى فقط؟ اذا كانت الحال بهذا الشكل فأنا أعرف كيف أذيبه! وأستطيع أن أجعلك تستجيبين.»

حاولت التخلص من يديه اللتين كانتا تمسكان بها لكنهما كانتا كقيد من الفولاذ. وبدت فى عينيها كآبة عكست ما يكمن فى قلبها الباكى من حزن لكنه لم يلاحظها أو لعله لاحظها ولكنه لم يكترث.

صمم على تنفيذ ما يجول في خاطره.

وأحست كارولين بالتعب يسيطر على كل جزء في جسمها النحيل فاسترخت وتمددت وراحت في سبات عميق.

رقت نظرة دومنيكو وهو يحدق في وجهها الذي تشع منه علامات البراءة، فشعر بنوع من الندم وتوبيخ الضمير. ثم حملها في حنان إلى غرفة النوم ووضعها في سريرها وانصرف!

٥ ـ مقابلة العائلة

كانت السيارة فى انتظارهما بمطار روما عندما هبطا من الطائرة التى حملتهما من باريس هذا الصباح. وظهرت على وجه دومنيكو الكثير من علامات الارتياح وهو يتخذ مكانه أمام عجلة القيادة اذ هجر سيارات الأجرة فى باريس والسيارات المؤجرة التى كان يستعملها عندما كان فى انكلترا.

نظرت كارولين الى فيتو الذى أخذ يهدل بسرور وهو مستلق فى سريره الخفيف المثبت فى المقعد الخلفى، وعندما اطمأنت الى أنه ينعم بالراحة نظرت بطرف عينيها الى الملامح الجانبية لوجه دومنيكو التى تتسم بالقوة والصرامة وفتحت فمها وهى تهم بالكلام لكنها عدلت عن ذلك وأخذت أصابعها تمزق منديلها المخملى الثمين فأتلفته دون وعى منها بسبب قلقها من المحنة التى كانت تزداد منها اقترابا بمرور الوقت ومع كل دورة من دورات عجلات السيارة.

تساؤلات أخذت تضرب رأسها بعنف: هل ستحبها عمة دومنيكو؟ هل يقبلها افراد عائلة دومنيكو دون اعتراض أم انهم سيظهرون العداء لفتاة اقتحمت عالمهم فجأة ودون سابق إنذار؟

www.elromancia.com

بينما كانت تفكر فى بدء الحديث مع دومنيكو فاجأها بقوله:

«لا داعى للقلق يا كارولين. فالعمة رينا هى من أحب النساء اللواتى عرفتهن.»

ثم رفع كتفيه بلا مبالاة وتابع:

«أما بالنسبة الى بقية أفراد العائلة، فلا قيمة على الإطلاق لما قد يفكرون فيه أو يقولونه.»

«يالك من رجل! فأنت لا تضع وزنا لفضول أسرتك الطبيعى ودهشتهم لمجىء فرد جديد الى العائلة وهم لا يعرفون عنه شيئا. كيف كنت تتصرف لو أن فيتو ألقى بى وبالطفل بينكم من دون مقدمات كأمر واقع يتحتم على الجميع قبوله؟»

ودون أن يحول عينيه عن الطريق التقط سيكارة من العلبة التى كانت فى جيبه وأشعلها. وبدا عليه أنه يتروى ويمعن التفكير قبل أن يرد. ثم قال لها:

«لعل من الأفضل توقع أسوأ الأمور، ولا شك فى أن تصرفهم سيكون كذلك فعلا. ولكن لا تقلقى، فلا يعنينا الا رأى العمة رينا لا أكثر. وسنشرح لها الأمر بطريقة تقنعها، ولو لم ننجح فى ذلك فهى لن تتساءل عن هذا الأمر مراعاة لمشاعرى. واعتقد حقا أن الطفل سيكون تعويضا كافيا لها عما يعتريها من ألم لأننا كتمنا أمر زواجنا.»

«أتنوى إخبارها بأننا لم نتزوج حديثا؟»

«هذا أصعب قرار كان على اتخاذه.»

وقطب جبينه واستطرد قائلا:

«لم يسبق أن خدعتها ابدا فى حياتى. ولذلك فلا خيار أمامى الا إخبارها بأنه مضى على زواجنا عام كامل وأننا اضطررنا الى كتمان الأمر بسبب اعتراض أسرتك على الزواج وأنت فى هذه السن الصغيرة. أتظنين ذلك ملائما؟.»

فقالت بتردد:

«لست أدرى. ترى ألن تتملكها الدهشة لأنك انتظرت حتى بلغ الطفل ستة أشهر لتطلعها على الامر؟»

سحق سيكارته متأففا وقال:

«طبيعى أن ذلك يسبب لها الألم لكن الأمر سوف يختلف عندما تعرف أن الطفل هو ابن فيتو.»

وأخيرا حانت اللحظة التى كانت تخشاها. فقد توقف دومنيكو أمام منزل فخم شبه منعزل. وبسبب انفعالها الزائد تعثرت قدمها وهى تخرج من السيارة وسرها أن تجد ذراع دومنيكو الى جانبها يسندها حتى استعادت توازنها. دق دومنيكو الجرس وقبل انقضاء فترة كافية من الوقت ايذانا بوصولهما، فتح الباب، وانطلقت منه صيحات:

«دومنيكو دومنيكو أخيرا. أخيرا.»

ذلك أن السيدة العجوز لم تنتظر قيام خادمها لتفتح الباب، وكادت تبكى وهى تطوق دومنيكو بذراعيها ضاحكة فى استقبال حافل يعبر بصدق عن صدق المشاعر المتبادلة.

وبعدما عانقها بحرارة قال لها:

www.elromancia.com

«عمتى رينا أنت فاتنة كما عهدتك دائما!»

وحملها بين ذراعيه ثم دار بها حتى توسلت اليه كى يرحمها قائلة له وهى تلهث:

«دومنيكو أنزلنى فى الحال! ماذا ستظن زوجتك فى تصرفى هذا؟.»

فأنزلها برفق حتى استردت ما اهتز من هيبتها قبل أن يمد يده باتجاه كارولين قائلا:

«عمتى رينا أريدك ان تقابلى المرأة الوحيدة التى أحببتها بعدك انت.»

مدت يدها فى خجل وحدقت فى العينين البنيتين الدافئتين اللتين كانتا تحدقان نحوها، وأحست بالدفء لما رأته فيهما من عطف وحنان. وشعرت بالارتياح عندما خطر لها أن السيدة منفعلة مثلها تماما وتجلى هذا كله فى ابتسامة متألقة تبادلتها معها.

رفعت العمة رينا وجهها لتتلقى قبلة كارولين. ثم مالت بوجهها نحو دومنيكو وقالت:

«أشكرك يا عزيزتى. كنت أخاف أن يتعذر الانسجام بيننا ولكن كان يجدر بى جيدا إدراك انه لا سبيل الى الشك فى ذوق دومنيكو الذى لا يخطىء.»

فابتسم دومنيكو قائلا:

«اذن فأنت راضية عن اختيارى يا عمتى رينا؟.»

«ألم يقل غريغورى الأكبر عبارته التى اشتهر بها:

«ليسوا انكليز، بل هم ملائكة» والتى قالها عندما رأى الأطفال الأنكلو الساكسون للمرة الاولى يا دومنيكو؟ هذا ما ذكرتنى به كارولين

عندما وقعت عليها عيناى للوهلة الأولى. ذلك الشعر الذهبى الجميل وتلك البشرة الملساء والعينان اللتان لهما براءة الملائكة نعم يا دومنيكو اننى راضية تماما عن ملاكك الانكليزى الصغير.»

وابتسمت لهما وهما يقفان وقد تشابكت أيديهما. ولما رافقتهما العمة رينا الى غرفة الاستقبال نظر دومنيكو الى عينى كارولين ورفع حاجبيه فى مرح. وأحست كارولين بأنها لا تستطيع التنفس وتكاد تختنق وقد تملكها شعور من الاسف اعتقادا منها بأن خداعها لهذه السيدة العجوز العزيزة شىء كريه وأنها ترتكب خطأ كبيرا فقد بدت عذوبتها واضحة لكارولين وعرفت أنها قد تزداد مع الأيام حبا لها.

وأفسحت العمة رينا مكانا مجاورا لها على الأريكة وكأنها تدعوها الى الجلوس بجوارها. وجلس دومنيكو أمامها وأخذ ينظر اليها وهى تصب الشاى فى فناجين هى من الرقة بحيث تشبه قشرة البيض. وخاطب كارولين قائلا:

«ألا تعلمين انك تجبرين العمة رينا على أن تشرب الشاى فالقهوة هى شرابها المفضل. لابد أن تشعرى بالفخر لأنها تحبك حبا لدرجة جعلتها تشاركك فى ما كانت دائما تصفه بأنه مزيج مقزز للنفس.»

قطبت عمته جبينها وهو يمازح كارولين ثم ما لبثت أن مالت الى الأمام لتضربه على ركبته ضربة حادة وقالت:

«هذا هراء يا دومنيكو فكثيرا ما أتناول الشاى مع أصدقائى الانكليز وسيضايقنى جدا اذا أشعرت كارولين بأننى اتناول الشاى لمجرد تفضيلها اياه وليس أكثر. كان يجدر بك مساعدتها على الشعور

www.elromancia.com

بالارتياح بدلا من أن تزيدها ارتباكا.»

ثم استدارت الى كارولين وتابعت:

«ما أكثر ما تسبب فى إثارة ابنى فيتو بحيله ومزاحه. لقد كان يغيظه بلا رحمة وخاصة فى مرحلة الطفولة.»

حملت كارولين الطفل فيتو وجاءت به الى غرفة الاستقبال لتعرضه على العمة التى ما ان وقع بصرها عليه حتى صاحت :

«آه يا دومنيكو. ها هو ابنى فيتو مرة أخرى. فالتشابه بينهما أكبر من أن يصدقه عقل. يا عزيزى فيتو!»

قالت كارولين برقة:

«أطلقنا عليه اسم ابنك يا عمتى ظنا منا بأن ذلك يدخل إلى قلبك السعادة؟.»

مدت يدها ناحية كارولين ورمت دومنيكو بنظرة عرفان بالجميل وقالت منفعلة:

«أشكركما كثيرا . انكما تراعيان شعور سيدة عجوز. اننى مسرورة للغاية لأنكما فكرتما فى لهذه الدرجة.»

وضع دومنيكو اصبعه تحت ذقنها ورفع وجهها فى لطف لكى ينظر فى عينيها وقال:

«تعرفين طبعا أن أسباب سعادتنا هى أن نقوم بأى شىء فى سبيل راحتك فأنا مدين لك بأكثر مما أستطيع الوفاء به. وفيتو أيضا. فلقد قاسمنى أمه ومنزله وسأظل مقدرا لجميلكما مدى الحياة.»

«هراء يا دومنيكو. فأنت تعرف انها لم تكن مسألة قسمة على الإطلاق. لقد كنت ابنا آخر لى وأخا محببا لفيتو. لا أريد سماع كلمة عرفان بالجميل مرة أخرى. فقد أعطيتنا أكثر مما أخذت منا بكثير.»

واغرورقت عيناها بالدموع اذ لم يكن قد مضى على موت ابنها الا وقت قصير ولم تكن تستطيع التحدث عنه برباطة جأش وانتقلت الى موضوع آخر حتى لا تنوء تحت وطأة أحاسيسها.

«كانت رسالتك التى ذكرت فيها خبر زواجك وأنك أصبحت أبا مفاجأة لى بشكل كبير يا دومنيكو.»

دخل ايمانيويل الغرفة بعدما نقر الباب، ثم وقف فى جوار العمة رينا. كان عجوزا مثلها. هو عمل وأبوه من قبله فى خدمة أسرة الفيكارى منذ أن كان صبيا. وأشرق وجهه الأسمر المجعد وهو يتأمل السيدة العجوز وهى ترعى الطفل وعلامات السعادة والفرح بادية عليها. وتجعدت شفتاه عندما ابتسم بعد أن صوب فيتو نظره اليه وأخذ يضحك وهو يحدق فى اتجاهه. ثم تمتم مسرورا:

«انه حقا من عائلة فيكارى. ابن حقيقى لأبيه.»

واحمر وجه دومنيكو قليلا وقال:

«أشكرك يا إيمانيويل. لكن أرجو ألا يسبب لك أى إزعاج كما كنت أفعل فى صغرى؟.»

فرد بصوت مرتفع:

«ازعاج يا سيد دومنيكو؟ أرجوك لا تقل هذا ألا ليتنا نستطيع التغلب على كل ما يسبب لنا ازعاجا بالسهولة نفسها التى كنا نعالج بها طيشك؟.»

www.elromancia.com

ثم جر قدميه فى قلق. فسألته العمة رينا وقد نفد صبرها:

«قل لى يا ايمانيويل. ماذا يزعجك؟.»

«أنت تعرفين أوامر الطبيب يا سيدتى. يجب الحرص على راحتك بعد الظهر دائما. ألا تحبين الذهاب الى فراشك الآن؟ سأخبرك فى الوقت المناسب لتستعدى للعشاء.»

وعندما رأى أن العمة رينا تعتزم مجادلته، لجأ الى دومنيكو وقال:

«انها ليست أوامرى بل أوامر الطبيب الصريحة بأن تأخذ قسطا من الراحة كل يوم بعد الظهر يا سيد دومنيكو. منذ الصباح وهى تنتظر وصولكم فى قلق. فأرجو منك مساعدتى والالحاح عليها فى تنفيذ أوامر الطبيب الذى أخذ على عهدا باحترام أوامره.»

وانتظر رد فعل دومنيكو ثم ابتسم شاكرا عندما رآه يتولى الأمر بنفسه اذ أخذ الطفل منها وأعطاه لكارولين متجاهلا اعتراضاتها على ذلك ثم رفعها وحملها الى الباب وتركها فى رعاية أدلينا زوجة ايمانيويل التى دفعتها الى الداخل وأغلقت الباب.

عاد دومنيكو الى الغرفة وترتسم على شفتيه ابتسامة مشرقة وقال لكارولين:

«اشكر لك حسن طريقتك فى معاملة العمة رينا.»

«لا داعى لأن تشكرنى على الإطلاق يا دومنيكو فهى فى اعتقادى من أطيب من قابلت من الناس وأرجو....»

ترددت لبعض الوقت فقاطعها سائلا:

«ماذا ترجين؟»

وفى بطء تابعت حديثها قائلة:

«كل ما كنت أرجوه هو أن يكون لقاؤنا هذا خلوا من هذه السحابة من الخداع التى تلقى بظلالها علينا فهى أطيب من أن نخدعها بهذه الطريقة. ومما لا شك فيه أن لديها قلبا كبيرا يستطيع أن يتسع لحفيدها دون حقد. بل انه ولو لم يكن أبواه متزوجين لما حمّلت الطفل وزر هذا الأمر فى اعتقادى.»

«هل تريدين القول إنه لم يكن هناك داع لزواجنا وان العمة ستقبل بالطفل ايا كانت الظروف؟.»

«نعم، أعتقد أنه لم يكن هناك أى داع لذلك إطلاقا.»

«كارولين، مضى الآن وقت التفكير فى ذلك. وفى اى حال كيف لنا أن نعرف ما سيكون رد فعلها متى عرفت أن الطفل هو ابن فيتو لا ابنى؟ صحيح أنها لن تلقى بك أو به خارجا لكن الصدمة ربما تتسبب فى قتلها، وأنا لا أملك الاستعداد لهذه المغامرة.»

«لم يكن لمعرفتها بأن الطفل هو ابنك أى أثر يا دومنيكو. ولا بد أنها تشك فى الفترة التى انقضت بين زواجنا وميلاد الطفل لأن أحدا لم يخبرها بهذا أو بذاك. كيف تقول لها إننا تزوجنا منذ أكثر من عام وإنك لم تر أى حاجة لابلاغها ذلك.»

«سبق واطلعتك على خطتى. وان ارتابت فى الأمر فلن تسألنى. أعرف ان ذلك سيؤلمها كثيرا لكنك تعرفين أننا لا نستطيع على أية حال أن نحول دون حدوث ذلك. لقد كانت دائما تعاملنى كابن لها، وكنت أحصل على كل ما ينعم به فيتو من حب وعاطفة ولكن مع ذلك.»

www.elromancia.com

حزنت كارولين لنظرة الألم التى بدت فى عينيه وهو يستطرد قائلا:

«كان هو ابنها الحقيقى لا أنا . هذا هو الفرق الوحيد يا كارولين.»

ثم استدار حتى لا ترى وجهه:

«هناك رابطة بين الأم وابنها لا يستطيع أحد قطعها او مشاركتها فيها أيضا.»

لم يكن قد أخبرها الشىء الكثير عن طفولته. وكل ما كانت تعرفه أن والديه قتلا فى حادث سيارة ولم يكن عمره فى ذلك الوقت يزيد على السبع سنوات بدأ يشرح لها قصته بالتفصيل قائلا:

«كان والدى أخا لوالد فيتو وعندما أصبحت يتيما فتحت العمة رينا والعم أرتورو قلبيهما و بيتهما لى. ومات العم أرتورو فجأة عندما كنت وفيتو فى الثانية عشرة من عمرنا. وتحملت العمة رينا عبء تربيتنا بمفردها. وسأظل مدينا لها بهذا الجميل ما حييت. كان فيتو سخيا معى وأشركنى فى كل شىء فواجبى يحتم علىّ أن أفعل كل ما فى وسعى لمساعدة فتاة كان مقدرا لها أن تصبح زوجته. وما هذا الا تضحية ضئيلة جدا اذا ما قورنت بما نعمت به من حب وأمان فى كنف هذه العائلة.»

استدار نحوها فجأة ونظر اليها قائلا:

«لم نشعر بالحاجة يوما الى المال يا كارولين، فلقد كان لدينا الكثير منه دائما. لكن المال لا يشترى ما ظفرت به من حب.»

كان عليه أن يتقاسم الحب طوال حياته أو على الأقل منذ وفاة أبويه، وها هو الآن مضطر الى مقاسمة فيتو حبه لزوجته وهو الحب

الذى ينبغى أن يكون من نصيبه وحده. ورغبت فى أن تلقى بنفسها بين ذراعيه لتشبع هذا الجوع الشديد الى الحب الذى أظهره دون أى قصد. ولكنها لم تجرؤ على ذلك. فقد كان دومنيكو رجلا متكبرا فظا ولم يكن يتيما بائسا يبكى أمه اشتياقا اليها. وكانت تعرف أن مبادرتها حتما ستلقى الرفض فازدادت إصرارا على تحريره من هذا الزواج الزائف فى أقرب فرصة مهما تكن العواقب.

كان فيتو ينمو بسرعة فائقة ويستعد للشروع فى الوقوف دون مساعدة احد. وكانت حركاته تسبب الإرهاق لكارولين. وذات يوم سمع دومنيك أنينها وشاهد ما تعانيه بسبب الطفل فانحنى ورفع الطفل قائلا:

«دعينى آخذه منك. انه يرهقك وأنصحك بالذهاب الى غرفتك لتستريحى قبل مقابلة بقية أفراد الاسرة هذا المساء.»

ولما رأى الانفعال باديا على وجهها قال:

«لا تقلقى، أؤكد لك أنهم اناس طيبون.»

وابتسم لها وخفق قلبها. كان يحمل فيتو بالحنان الذى يبديه كل ايطالى نحو طفله وقالت لنفسها، يا له من رجل يصلح أبا رائعا. لو...»

وضاقت ذرعا بنفسها لكونها تمنت ذلك فنهضت وتوجهت الى الغرفة المخصصة لها يرافقها دومنيكو.

وعندما فتح الباب لكى تتقدمه الى الداخل انبعثت منها صيحة تنم على السعادة.

ومشت على سجاد أزرق سميك ينبسط على أرض الغرفة من الجدار الى الجدار. وكان الأثاث مصنوعا من خشب ذى لون فضى

ناصع براق. أما النوافذ الشاهقة ، فقد اكتست بستائر ظلال لونها شبيهة بلون السجادة الزرقاء، وتدلت بارتفاع الجدار. أما الجزء المتوسط من الغرفة فقد استقر فيه فراش أنيق غطى بدوره بأغطية من اللون الأزرق أسوة بالستائر والسجادة لتكتمل عناصر الأناقة.

وقفت كارولين مشدوهة لا تقوى على التفوه بكلمة وهى تتأمل جمال الغرفة التى اختارتها لها العمة رينا يحدوها الى ذلك عطفها ورقتها.

وهمست قائلة:

«آه يا دومنيكو!.»

«لا ريب فى أن العمة رينا أولتك شرفا عظيما. فعلى ما أذكر لم يستعمل هذه الغرفة الا ذوو الحظوة من الضيوف وطبيعى أن تخصيصها لك لاستعمالها بصفة دائمة هو شرف كبير لأنها كانت ترفض مرارا استعمالها من قبل أفراد العائلة.»

«أيعنى هذا أنها تعتبرنى فردا عزيزا من أفرادها.»

وصلت الى احدى النوافذ ثم خرجت الى الشرفة. وسرها أن تجد نوافذ غرفتها تطل على المنزل من الوراء، وأن هناك شرفة واسعة، وانبسطت تحت الشرفة ساحة خضراء فسيحة فى وسطها فسقية وتناثرت فيها شجرتان أو ثلاث تضفى على المكان ظلا ظليلا وترطب جوه. وأسعد كارولين أن تجد فى هذه الساحة مكانا مناسبا يلعب فيه فيتو. ثم سألت دومنيكو:

«هل هذا منزلك الوحيد يا دومنيكو؟ أعنى هل لديك مكان آخر خاص بك أو انك لا تزال تقيم هنا مع عمتك؟.»

- «عندى فيلا فى الجبل اذهب اليها حينما تشتد الحرارة فى المدينة. وقد اعتادت العمة رينا على استعمالها فى هذا الوقت من السنة، ولكنها آثرت الاقامة هنا منذ وفاة فيتو لتظل الى جانب أفراد العائلة. ولم أشعر بالحاجة الى مكان خاص بى لأننى كنت دائم التنقل والترحال. كان فيتو يرعى أعمالنا هنا، فى روما، ولم يكن يسافر الا قليلا. أما الآن فهو لم يعد بيننا وعلينا أن نعيد ترتيب أوضاعنا من جديد. سأضطر الى البقاء هنا لأدير الأعمال، وربما أنبت عنى جيوفانى وهو ابن عمى الأصغر الذى ينتظر فرصة كهذه ليظهر فيها براعته. وفى هذه الحالة يجب ان أفكر فى شراء منزل قريب من هنا، هذا فى حالة اذا كنت لا تحبين الاقامة مع العمة رينا.»

«لا يا دومنيكو، على العكس تماما فأنا أحب الاقامة مع عمتك. وكل ما فى الأمر أننى فضولية.»

اتجه الى باب كانت كارولين تتساءل عما يخفى وراءه فأكد لها شكوكها عندما قال:

«هذه هى غرفتى وستلاحظين أنها ليست فى فخامة غرفتك ولكن عمتى تعلم أننى أفضل الغرفة البسيطة.»

احمر وجهها عندما التقت نظراتهما وتذكرت الغرفتين اللتين أقاما فيهما، وما ترتب على تقاربهما. وتمنت صادقة أن يكف عن عادته فى اقتحام غرفتها فى أوقات لا تتوقع حضوره فيها.

«استلقى فى فراشك وخذى قسطا من الراحة وعندما يحين الوقت المناسب سأخبرك لكى تستعدى. سيحضر بعض الأصدقاء للتعرف

اليك ولكن لن يبقى لتناول العشاء الا المقربون. وأرى أن ترتدى الثوب الذى ارتديته فى الليلة السابقة فهو جذاب للغاية.»

فأجابت:

«سأفعل وشكرا.»

لو كان الأمر فى يد كارولين لما عادت الى ارتداء هذا الثوب مرة أخرى. صحيح انه يوقظ فى ذهنها ذكريات مؤلمة لا حصر لها. لكن ليس لديها خيار، لأن الثياب التى كلفت بريجيت تجهيزها لها لم تصل حتى هذه اللحظة.

استلقت كارولين على الفراش وهى تحاول النوم، لكن ذهنها كان مفعماً بطاقات لا محدودة من النشاط. وطافت عيناها فى أنحاء الغرفة فى تعجب فهى لم تستطع بعد أن تتقبل فكرة ان هذا البيت سيكون بيتها. لا ريب فى أنه سيكون مؤقتاً ومع ذلك فهو مكان تقضى فيه بعض الوقت حتى تعثر على دورندا. وأخذ النعاس يتسلل إليها يداعب جفونها، ثم استسلمت الى النوم.

وبعد ساعة استيقظت وهى تشعر بانتعاش. كان فى استطاعتها أن تسمع وقع أقدام دومنيكو وهو يتجول فى غرفته، وعندما نظرت الى ساعتها أدركت أن الوقت حان كى تتأهب وتعد نفسها لمواجهة اقارب زوجها.

دخل دومنيكو غرفة نوم كارولين حاملا علبة صغيرة قدمها اليها واذا فيها بروش ثمين جداً مرصع بالماس على هيئة وردة دقيقة الأوراق. فأطلقت على الفور صيحة اعجاب وهى مشدوهة بما تراه ثم قالت وهى تهز رأسها:

.«لكن لا يمكننى يا دومنيكو أن أتقلده».

وأعادته اليه وتابعت:

.«انه نفيس جداً. خذه وضعه فى مكان آمن، لأننى أخاف عليه ان يضيع».

لم يستمع إلى كلامها وأخرج البروش من العلبة وثبته على ثوبها فتلألأ بالانوار، ثم اتجهت الى المرآة لتتأمله.

وتردد وهو يقول:

.«أريدك أن تتقلديه يا كارولين فقد كان يخص أمى».

رفعت يدها برقة ولمست طرف احدى وريقات الوردة بأصبع تختبرها بها وقالت:

.«خاص بأمك وتريدنى أن آخذه يا دومنيكو؟».

.«نعم».

اتجهت يده الى جيب سترته وأخرج هذه المرة علبة أخرى أصغر حجمًا من الأولى. وأمسك بيدها فى حنان ونظر لحظة الى أصابعها النحيلة ووضع خاتماً فى الأصبع التى تحمل خاتم الزواج الذهبى الثقيل. وكان لهذا الخاتم ماسة رقيقة وضعت فى ذوق سليم وهو يماثل البروش تماماً قال:

.«كما تعلمين لم أشتر لك خاتماً للخطبة. ارجو ان يعجبك هذا الخاتم».

.«هل هذا خاتم خطبة أمك يا دومنيكو؟».

.«نعم. هل يعجبك؟ اذا كنت تفضلين أن أشترى لك خاتماً آخر فانا على استعداد».

www.elromancia.com

لم تتمالك نفسها. فذهبت اليه ووضعت شفتيها على خده وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

. «شكرا يا دومنيكو هذه العاطفة. سيكون لى شرف وضع خاتم والدتك فى اصبعى».

وللمرة الاولى منذ عرفت دومنيكو خانته ألفاظه وامتدت يده الى خدّه وتلمس المكان الذى لمسته بشفتيها لمسة خاطفة وقال:

. «لماذا، ياكارولين؟».

وابتعدت بسرعة وهى نادمة فعلا على اندفاعها هذا. فلو ادرك انها تحبه فان خطتها سوف تبوء بالفشل. والأمر يحتاج الى كبت المشاعر لكنها بحماقتها جعلته يحسّ بشىء من الشعور الذى تكنه له.

سمعت كارولين صوت أدلينا وهى تنادى:

. «يامدام فيكارى. حان الوقت للنزول الى الطابق الاسفل لمقابلة الضيوف».

وردت كارولين فى ارتياح:

. «شكرا يا أدلينا انى قادمة».

اتجهت الى الباب دون أن ترمى بنظرها فى اتجاه دومنيكو وقبل أن تصل اليه اعترض طريقها وقال:

. «كارولين».

. «ارجوك يا دومنيكو دعنى أنزل فالعمة رينا فى انتظارنا».

. «يمكنها الانتظار بضع دقائق أخرى يا عزيزتى. أودّ أن اكلمك».

الذى أفزعها كلمة عزيزتى التى لفظها بحنان يضاهى تلك الومضة التى انبعثت من عينيها، فصرخت:

. «أدلينا! أدلينا!».

. «نعم ياسيدتى».

. «تعالى لحظة فأنا أريد أن تساعدينى فى ارتداء الثوب».

. «طبعا يا سيدتى».

وبينما كان مقبض الباب يدور صاح دومنيكو:

. «حسناً يا أدلينا سأعاون السيدة. قولى للعمة أننا سننزل بعد عشر دقائق».

. «بالتأكيد يا سيد دومنيكو».

تناول ذقنها بين أصابعه وأدار رأسها حتى التقت عيناها بعينيه وقال:

. «الآن قولى لى لماذا وضعت شفتيك على خدى فى حنان دافق؟».

رفع يده مرة ثانية الى المكان الذى لمسته شفتاها وكأنه مازال غير مصدق بأن ذلك حدث بالفعل. وارتسمت على وجهه ابتسامة رضى وهو ينتظر جوابها.

ماهو التفسير الذى تستطيع أن تسوقه كى تقنعه بأن شعورها لم يتغير؟ ان الشىء الوحيد الذى فكرت فيه فى تلك اللحظة من شأنه أن يعيد الى وجهه علامات الكره والاحتقار. انه شىء يصعب عليها قوله ولكن لامفر من ذلك فقالت:

. «هذا يادومنيكو هو أسلوبى فى مكافأة المعجبين عندما يقدمون

www.elromancia.com

لى الماس! ألم تسمع القول المأثور بأن الماس هو أحسن صديق للفتاة؟».

لم تصدق أنها استطاعت إخراج هذه الكلمات من فمها. وباتت تترقب حكم الادانة الذى سيصدره.

لقد بدأ كل منهما يهتدى الى الآخر بطريقة ما. فهو قد أبدى شيئاً من الرقة نحوها وهى من ناحيتها تمنت أن يتغير ما انطبع فى ذهنه عنها.

لم يحاول أن يقترب منها بل قال فى هدوء:

- «أيتها المتشردة الصغيرة».

فأجفلت وكأنه صدمها. وبحركة لا شعورية اضطرت أن تنظر اليه وقف ويداه فى جيبى بنطاله وهو يميل بتكاسل على الباب وشحب وجهه الى حد ما ولكن لم يبد عليه شعور بالاشمئزاز وانما اكتفى باظهار شعور بعدم المبالاة. لكن عينيه كانتا باردتين كئيبتين يموج فيهما الألم.

وصاحت صيحة نابعة من قلبها المتألم:

- «آه يا دومنيكو يا حبيبى! لماذا أصرّ على ايذائك دائما بهذه الطريقة؟».

ولم تخدعها نظرة اللامبالاة ولا هدوء صوته. كانت تعرف أنها أطفأت بكلماتها تلك شعلة العاطفة الصغيرة نحوها. لقد جاملها عندما أعطاها حلى أمه لتتقلدها لكنها أورثته شعورا بالاشمئزاز عندما أظهرت جشعها وطمعها وهى تتقبل هديته. لابدّ انه بات يمقت فكرة تقلدها لحلى والدته. لكن دومنيكو معروف بأنه لا يسترد مطلقا هدية متى قدمها.

وبحركة تلقائية اتجهت نحوه ملتمسة منه أن يصفح عنها. وكان فى وسعها فى هذه اللحظة مصارحته بالحقيقة الكاملة وأن تقول له إنها لم تعرف أبدا أى رجل من قبل وأن الماس الوحيد الذى تمتلكه هو الماس الذى

تلقته منذ لحظات وانها احبته لا لقيمته المادية بل لأنه هو الذى أعطاه لها، ولكن قبل أن تجد الكلمات المناسبة لتعبر عن ذلك بادرها قائلا:

- «اذا كان يرضيك أن تعرفى هذه الحقيقة. فقد كدت تخدعيننى عندما جعلتينى أفكر فى أننى أخطأت فهمك».

وكان انتفاء الغضب فى صوته نتيجة طبيعية لتحكمه فى شفتيه ومحاولته اخفاء ما فى عينيه من مرارة وحزن.

واستطرد قائلا:

- «لابد أن أعترف أننى عندما ذهبت الى انكلترا لأبحث عنك توقعت أن أجد فتاة أقضى معها وقتاً طيباً وتستجيب لمطالبى، وعلى هذا الأساس تصرفت. ولكن عندما وقعت عيناى عليك وبدأت أعرفك أكثر - على ما أعتقد - كنت من الحماقة بحيث شككت فى حكمى وتقديرى، فخالفت طبيعتى وانجذبت اليك لأنك فتنتنى».

واضاف:

- «وفى باريس اقتنعت بأنك لست من الفتيات اللواتى يطاردن الرجل من اجل المال. ولأسباب خاصة بك تعمدت اعطائى انطباعاً خاطئاً تماماً عن أخلاقك».

ثم اعترف بصراحة قائلا:

- «فى الحقيقة تألمت من طريقة معاملتى لك تلك الليلة. وفى الصباح التالى استطعت بصعوبة أن أحمل نفسى على النظر اليك بسبب ما شعرت به من احتقار ذاتى. ولكن الآن...».

وأسرع نحوها وأمسك بكتفيها وقال:

- «والآن فى روما اكتشفت حقيقتك. امرأة بلا شرف، مرتزقة رخيصة، تفعلين كل شىء وأى شىء فى سبيل الحصول على أقصى ما يمكن من رجل بلغ به الغباء حداً يصدق ما تظهرينه من سذاجة وطيبة ينسابان كانسياب الماء من الصنبور. رجل بلغ به الغباء حدا جعله يفكر فى أن امرأة مثلك تصلح لأن تعيش فى قلب هذه الأسرة وتلقى المحبة والاحترام من سيدة لا تستحقين حتى شرف السير فى ظلها ...».

لم يرفع صوته مرة واحدة لكن كلماته المريرة كانت جلية وواضحة. لم تحاول اجابته أو تبرىء نفسها. ارتضت كل اتهاماته بلا اعتراض وهى تعلم أن محاولة مقاطعته لن تجدى نفعاً. ألم تكن هذه هى النتيجة التى حاولت تحقيقها؟ ألم تحاول هى عمداً تحريضه على نفسها لتصل الى هدفها؟ لم تشك مطلقاً فى أنها نجحت وكان نجاحها كبيراً. فلا داعى للخوف من أن يعود دومنيكو الى ملاطفاته المفرطة ولا خوف من أن ينفذ سحره اليها. لقد احتقرها. وهى آلمته كثيراً حتى انها لن تحتاج لمحاولة منعه من مغازلتها فهو لن يفعل ذلك بعد اليوم. وقفت بقامتها الممشوقة النحيلة فى ثوب السهرة المترف الذى تحيط ياقته بوجهها. لقد ارتضت كل ما قاله لها دون أن تصدر عنها أى حركة فاغتاظ لهدوئها وضغط بأصابعه التى كانت تنغرس فى لحم كتفيها الناعم ضغطاً شديداً حتى بات الألم غير محتمل. فتأوهت لهذا العذاب الذى فاق طاقتها، وخفّف من قبضته قليلا دون أن يدعها تذهب.

- «أجيبينى بصراحة ...».

أخذ دومنيكو يقضم هذه الكلمات وكأن وجهه منحوت من صخر أما هى، فانتاب حلقها تقلص هددها بالاختناق، فابتلعت ريقها بألم وأمكنها أن تهمس قائلة:

- «لو أمكننى...».

- «هل أحببت فيتو؟ أم أنه كان هو الآخر رجلا أحمق سهل خداعه ووقع فى شركك؟».

ولم تعرف بماذا ترد عليه. وترددت وهى تحاول ان تجمع شتات أفكارها لكنها تأخرت فى الرد كثيرا. وأدار لها ظهره وقاوم حدة انفعاله الشديد ولم تجرؤ هى على الحركة او ان تتكلم اذ كانت تعلم أن انفعال دومنيكو سيكون عنيفاً ولكنها ما كانت تتصور مقدار سخطه.

وأخيراً عندما التفت اليها كان قد تمالك نفسه من جديد.

خفضت عينيها وأخذت تنظر الى السجادة تحت قدميها. فأى مكان تنظر اليه خير من مواجهة الازدراء الواضح فى عينيه. وانتظرت حتى قال لها:

- «فى هذه اللحظة لا أستطيع أن ألمسك ولكن تذكرى هذا يا كارولين، فى الماضى، كنت تتلقين ثمن خدماتك. حسناً لقد دفعت الثمن من شرفى واسم عائلتى وبدرجة أقل من حلى والدتى. وما كانت والدتى تتصور أن تتقلد امرأة مثلك هذه الحلى».

وأضاف:

- «فى نيتى أن أجعلك تدفعين الثمن غالياً لحماقتك. قد يمضى بعض الوقت قبل انتقامى لكننى سأفعل استعدى منذ الآن».

لم ترفع عينيها عن السجادة أثناء حديثه فقد كانت خائفة الى أبعد حد لأن صوته دلّ على انه صادق فى وعيده. وتحولت زرقة السجادة الى بحر جياش يهدد بابتلاعها فى دوامات اللامتناهية. فجذبت نفساً عميقاً وأحست بأن الأرض من تحتها عادت الى

استقرارها هنيهة وبشجاعة فائقة رفعت رأسها ونظرت اليه نظرة احتقار وقالت:

- «لو تجرأت على لمسي يا دومنيكو فسأقول كل شيء لعمتك. لقد كنت راغبا فيّ منذ أن التقينا للمرة الأولى وكان يتملكك الغضب من أجل ذلك. إنك تكره نفسك بسبب انجذابك لامرأة أنت تحتقرها. واجه الحقيقة».

واضافت في تحد:

- «انك لا تحتقرني، بل تحتقر نفسك وتريدني أن أتعذّب بسبب ذلك. لكني لن أسمح لك بأن تجعلني عبدة لنزواتك».

وتداعى صوتها بينما تخلت عنها شجاعتها وعضت على شفتها السفلى لتوقف الرعشة التي سرت في وجهها.

ونظر دومنيكو اليها وقطب حاجبيه الأسودين وقال:

- «سنرى يا كارولين... سنرى!».

٦ ـ صديقة قديمة!

تنفست العمة رينا الصعداء عندما وصلا إلى باب الصالون الكبير حيث تقام الحفلة لحظة وصول أول الضيوف. وحيتهما متلهفة قائلة:

ـ «ها أنتما أيها العزيزان. كنت أخشى أن أضطر الى تقديم اعتذاركما الى ضيوفنا».

ومدت العمة رينا يدها الى كارولين وهتفت:

«ما أجمل زوجتك يا دومنيكو. سيحسدك عليها الأقارب هذا المساء».

والتفتت الى كارولين وقالت:

«أرى أنك زرت صديقتي العزيزة بريجيت عندما كنت في باريس فهي وحدها القادرة على اختيار الثوب الملائم تماما».

وقادتهما الى الصالون سريعا ووقفا عند مدخله ليكونا أول من يحيي الضيوف عند وصولهم.

أخذ دومنيكو يتقبل تهاني أصدقائه وأفراد عائلته. أما كارولين فقد صافحت مجموعة كبيرة من العمات والأعمام وأبناء الأعمام وأحست بأنهم جميعا كانوا مسرورين بانضمامها الى العائلة. وما كانت

www.elromancia.com

لتهتم لو أنهم لم يرحبوا بها لانها لا تزال متأثرة مما حدث منذ لحظات. زرعت تلك التجربة فى نفسها مزيجاً من الثقة والهدوء.

بدأ الضيوف غير المدعوين الى العشاء بالانصراف وسرعان ما خلت الغرفة من الموجودين عدا أفراد العائلة المدعوين لتناول العشاء فقط. وأخذت العمة رينا تقودهم الى غرفة مجاورة أصغر حجما مدت فيها مائدة ضخمة.

وعندما اطمأنت العمة الى أن كل فرد اتخذ مكانه الصحيح أعطت الاشارة لتقديم طعام العشاء. وجلس دومنيكو الى يمين عمته وجلست كارولين الى يسارها فى مواجهته. وظل المقعد الذى يجاوره خاليا ورأته يلتقط البطاقة الموضوعة على المائدة أمام المكان الشاغر، وعندما قرأ الاسم المطبوع عليها رفع حاجبيه مستفسرا من عمته ولكن فى صمت. فأجابته بهزة من كتفيها وبلا مبالاة وبشىء من العبوس والضيق. وتساءلت كارولين ترى من يكون ذلك الشخص الغائب، والتفتت لتسأل الشاب الذى كان يجاورها والذى اتضح انه جيوفانى ابن عم دومنيكو الصغير. ولكن قبل أن تتاح لها فرصة توجيه السؤال اليه فتح باب غرفة الطعام واندفعت منه فتاة تضحك وتعتذر وفى أثرها رجل بدا عليه أنه يفضل أن يكون فى هذه اللحظة بالذات فى أى مكان آخر غير هذا المكان المقيد بالشكليات.

وامسكت كارولين أنفاسها كما فعل باقى أفراد العائلة عندما اتجهت أبصارهم الى الجمال الأخاذ الذى تتمتع به هذه الفتاة وقد توقفت لحظة تلوح بابتهاج لمجموعة أفراد الأسرة قبل أن تندفع الى العمة رينا وهى تقدم اليها اعتذارا عن تأخرها.

«معذرة يا عمتى العزيزة لسلوكى. كنت أنوى الحضور فى الموعد لأننى أعلم أنك تكرهين الانتظار وقد جئت على عجل.»

ثم التفتت الفتاة الى دومنيكو، وكان قد وقف مثلما فعل الآخرون عندما ظهرت هذه الفتاة، وألقت بذراعيها حوله وهى تصيح:

«دومنيكو يا عزيزى دوم كم افتقدتك!»

وشعرت كارولين بألم مفاجىء يضرب جميع أجزاء جسمها بسبب ما انتابها من انفعال وهى تراقب ما يحصل، ولم تكن لتعرف بأن هذا هو شعور بالغيرة، ولكنها أحست بكراهية تجاه الفتاة وقد ارتدت ثوبا خليعا فى لون اللهب المتقد وألقت بذراعيها حول دومنيكو.

وبدا أن دومنيكو استمتع كثيراً بذلك. فابتسم لها وامتدت يداه الى خصرها النحيل وهو ينحنى عليها.

وارتفع صوت العمة رينا:

«كنديدا! أنت متهورة دائما! أرجوك أن تقدمى صديقك الى الضيوف».

فردت قائلة:

«آه انى آسفة يا عزيزى جيفرى. يسعدنى أن أقدم جيفرى غراهام الى الجميع. وسأقدم يا جيفرى كلا منهم على حدة فيما بعد».

وابتسم الشاب الأشقر الشعر ساخرًا وانحنى قليلا محييا الجميع وتقدم الى المائدة ليقابل المضيفة. وتمتم بعبارة اعتذار بينما ابتسمت له العمة رينا ابتسامة باردة وأوضحت له أن جميع الأماكن التى فى

مقدمة المائدة مشغولة، وأنه لن يكون فى إمكانه الجلوس فى جوار صديقته.

وبدأ الجميع يتكلمون متجاهلين هذا الحادث المحرج ملقين أكثر من نظرة تأمل فى اتجاه كارولين بينما استغرقوا فى الطعام. وحاولت أن تبدو طبيعية وتبادلت الحديث مع جيوفانى الذى كان ينظر اليها فى اعجاب.

عاملته بلطف لا لأن هناك شبها كبيرا بينه وبين دومنيكو قبل أن يكتسب هذا المظهر الخادع المصطنع. وحاولت أن تنسى كيف لمعت عينا دومنيكو عندما شاهد الفتاة التى تجلس فى مواجهتها.

نقلت العمة رينا نظراتها الحائرة بينه وبين كارولين لاحساسها بالفتور الذى كان بينهما، وازداد ضيقها عندما لاحظت أن دومنيكو لم يحاول أن يشرك كارولين فى حديثه.

وكنديدا لم تبد اهتماما بأى شخص سوى دومنيكو برغم أنها تعرف الغرض من العشاء الذى اقيم بمناسبة انضمام كارولين الى العائلة.

وبتصميم، قطعت عليهما العمه رينا حديثهما، ورفع دومنيكو رأسه من وجه رفيقته عندما سمع نبرة اللوم غير المألوفة فى صوتها:

«دومنيكو، انت لم تقدم كنديدا الى كارولين حتى الآن. وستظن أننا كعائلة نجهل آداب السلوك جهلا تاما. هل تتولى الأمر بنفسك أو أتولاه أنا؟»

وكان استياؤها واضحا، لكن دومنيكو لم يصبه الانزعاج بل ابتسم كأن شيئا لم يكن وقال:

«آسف يا عزيزتى، لكنى كما تعلمين لم أر كنديدا منذ وقت طويل ولدينا أصدقاء كثيرون نعرفهم ونتحدث عنهم. معذرة».

وألقى على زوجته نظرة خاطفة عبر المائدة فيها تحذير من اظهار أى روح عدائية، وتولاه شعور بالرضى عندما بادلته النظرة برباطة جأش.

«إن كنديدا بنت عم بعيدة جدا لكنها كانت المفضلة عندى بصفة خاصة. لعبنا معا ونحن أطفال: هى وفيتو وأنا ولم نكن نفترق».

والتفت الى كنديدا قائلا:

ـ «أحب أن تلتقى كارولين وآمل أن تصبحا صديقتين».

ابتسمت كنديدا بعد عناء ولم تلبث أن انحرفت الابتسامة الى زاوية فمها عند تقديم كارولين اليها وقالت:

ـ «أؤكد لك يا دومنيكو أننا سنكون صديقتين. فأحب شىء الى نفسى هو أن أتعرف الى زوجتك. ويجب بعد العشاء يا كارولين أن نرتب موعدا لأدلك الى أحسن الأماكن التى تشترين منها احتياجاتك. وببساطة يجب أن تقابلى أصدقائى. انهم جميعا يتطلعون الى مقابلة الفتاة التى فازت بأكثر عزاب روما مراوغة».

قالت كارولين فى ازدراء:

ـ «لعله كان قد سئم مطاردة الفتيات عندما فزت به.

وكان التركيز على قولها كافيا ليشير بوضوح الى احتقارها للنساء اللواتى ركضن خلفه، واحمر وجه كنديدا غضبا اذ أدركت ما تعنيه بوضوح.

www.elromancia.com

وكاد جيوفانى يختنق وهو يتناول الحساء عند سماعه رد كارولين. ولفت الانظار اليه وهو يحاول التحكم فى نوبة السعال التى انتابته. وكانت كارولين مسرورة وهى تمد اليه يد العون وتجنبت الدخول مرة ثانية فى حديث مع دومنيكو أو كنديدا طوال الفترة الباقية من تناول العشاء.

وبدا لكارولين وكأن طعام العشاء انتهى بعد ساعات طويلة. وجلس أفراد العائلة المسنون فى مجموعات هنا وهناك متخمين من الطعام يثرثرون. أما الشباب منهم فسرعان ما بدأ الملل يتسرب اليهم فاقترح أحدهم أن يدير جهاز التسجيل فى الصالون الصغير الذى كان كثيرا ما يستعمل للرقص. وقوبل الاقتراح بحماسة وهرع الجميع الى الخارج.

كانت كارولين تجلس مع العمة رينا ومن هم فى سنها تحاول مقاومة اغراء البحث عن دومنيكو الذى ظل الى جوار كنديدا منذ انتهاء طعام العشاء. وبدأت تشعر بغضب شديد اذ أصبح واضحا للملأ أنه كان راضيا تماما عن صحبة ابنة عمه الجميلة متجاهلا زوجته. ورفعت بصرها فى ارتياح عندما اتجه اليها جيوفانى وقال:

«هل ترقصين معى يا كارولين؟»

قادها الى الصالون الصغير حيث استغرق بقية أفراد الأسرة فى جو من المرح ودفعها الى حلبة الرقص. كان راقصا ممتازا يعشق موسيقى الرقص القديم. تجنبت النظر الى الفتية والفتيات وهم يرقصون ملتصقين. لم تشأ أن تتذكر سعادتها عندما رقصت للمرة الأولى مع دومنيكو فى الليلة التى قضياها فى باريس برغم حنينها الى ذلك.

انتبه جيوفانى عندما شعر بيد تربت على كتفه. ودهشت كارولين عندما رأت جيفرى غراهام الرجل الذى جاء مع كنديدا قال:

. «أيمكننى أن أعتراض سبيلكما؟».

لم يكن جيوفانى راضيا عن هذا التصرف لكنه تخلى عن مكانه فى هدوء وترك الرجل الانكليزى الأشقر يصطحبها الى حلبة الرقص ويقول:

. «هل تمانعين؟».

وتلعثمت قائلة:

. «لا، لماذا؟».

تغيرت الموسيقى من اللحن البطىء الى الخفقات السريعة للحن بدائى لا تينى. واستسلمت كارولين للموسيقى وتتبعت قدميه بلا خطأ. جذبها اليه أكثر فأكثر عندما أسرعت الموسيقى. ثم بلغت الذروة باصطدام صنجات الموسيقى ودقات الطبول فأخذ يدور بها حتى أصيبت بدوار ثم سقطا ضاحكين على أريكة مريحة قرب حلبة الرقص. ودون تكلف مدت يدها وهى مازالت تضحك وقالت:

. «شكرا يا جيفرى. كان ذلك رائعا».

ورفع يدها الى شفتيه وقبلها. ووضح اعجابه بها وهو ينظر الى وجهها المفعم بالحيوية.

وفجأة كأن سحابة حجبت الشمس فزالت الاشراقة من عينيها وبدأ الاحمرار يغمر وجهها الجميل فى بطء. نظر جيفرى يبحث عن سبب هذا التغيير السريع فوجد دومنيكو يحدق فيهما غاضبا فنهض

سريعا وتكلم هو قبل دومنيكو وقال:

. «يجب أن أهنئك يا سيد فيكارى. إن زوجتك رائعة فى الرقص».

ورد دومنيكو ببرود واضح قائلا:

. «ليس هناك ما أجهله عن زوجتى لتأتى انت تطلعنى عليه».

لم يتضايق جيفرى فقد اعتاد على الأزواج الغيورين بل ابتسم لدومنيكو معتذرا واتجه الى حيث وقفت كنديدا على بضعة أقدام من دومنيكو.

تأملت كنديدا جيفرى كثيرًا وهو يسير تجاهها بتؤدة وقالت:

. «لماذا لا تتصرف تصرفا حسنا يا جيفرى؟ هل يجب أن تظهر مع كل امرأة تلتقيها؟ انى لا أعرف ماذا يعجبكم ايها الرجال فى مخلوقات تافهة كهذه!».

. «انك تحقدين عليها لجمالها الرائع، إنى احسد الرجل الذى تزوجها».

نظرت اليه فى غضب وانتفضت لتسير فى اتجاه دومنيكو. لكنها تأخرت فقد كان دومنيكو يراقص زوجته فنظرت اليهما وهما يختفيان وسط الحلبة فى واحة من الفراغ حيث يستطيعان التحدث دون أن يسمعهما أحد. قال دومنيكو:

. «ماذا تعنين بسلوكك؟».

. «ماذا تقصد؟».

. «هل لا بد من القيام بهذا الاستعراض أمام عائلتى ومع رجل غريب؟».

. «كيف تجرؤ على اتهامى بأن سلوكى مخز بينما كنت تتصرف طوال السهرة كمراهق يحلم بابنة عمه البعيدة جدا. لكنى لا حظت الليلة أنها ليست بعيدة إلا بالقدر الذى اردته أنت. وفى الحقيقة لا يدهشنى أبدا معرفة أنها لم تكن بعيدة عنك فى الماضى».

. «ذلك خطأ لا يغتفر!».

وتألمت عندما ضغط عليها بذراعيه وشعرت بحدة انفعاله وهو يقول:

. «كنديدا كانت وستظل دائما صديقة عزيزة، لا أكثر كيف تفكرين فى غير ذلك؟ ألم تعرض عليك أنت أيضا صداقتها؟».

جذبت كارولين نفسا عميقا وتعجبت لخداع الرجال عندما يتعلق الأمر بامرأة. ثم نظرت اليه باحتقار قائلة:

. «صداقتها!.. اننى أفضل مصادقة الأفعى».

وارتعشت عضلة فى وجنته وادركت أنها بالغت فى تماديها هذا. لقد كان وفيا لعائلته ومتعصبا لها. وهاهى أهانت أحد افرادها ولكنها لم تبال. أرهقت الليلة أعصابها الى حد لا يطاق. فثورة الغضب التى نشبت فى غرفة نومها ثم المتاعب التى واجهتها عند تناول العشاء، كل ذلك كان أكثر مما تستطيع احتماله وها هو يتهمها بشىء كان هو السبب المباشر فى حدوثه. لقد اعتبر رقصة بريئة مع غريب سلوكا مخزيا برغم أنه كان قبلة الأنظار لاهتمامه الواضح بابنة عمه الدخيلة. ومع ذلك، فقد كانت لديه الوقاحة ليلومها وكأنها ارتكبت جريمة شنعاء.

قال لها:

- «لابد أن تعتذرى لهذا العرض الطفولى المخزى».

وصدته قائلة:

- «لن افعل ابدا».

أحست كارولين بالارتياح وهى ترى كنديدا وجيفرى يقبلان نحوهما فقد لا حظت كنديدا اشارتها المنفعلة فى اتجاه جيفرى وعندما وصلت اليهما ردت عليها بابتسامة قائلة:

- «ألا نبدل رفاقنا يا عزيزى دوم؟ فنحن لم نرقص سويا منذ اشهر واننى لواثقة من أن زوجتك لا تمانع فى الرقص مع جيفرى ثانية».

تجنبت كارولين الاجابة وانسلت متلهفة من بين يدى دومنيكو الى جيفرى قبل أن ينتبه الى نيتها. وعندما بادلتها كنديدا المكان ارتسمت على وجهه ابتسامة متجهمة. كانت تعرف أنه لا يحب اظهار غضبه على مرأى من الجميع، أما بالنسبة الى ما يحدث بعد ذلك فلا حاجة للتفكير فيه الآن.

وقاربت الحفلة على الانتهاء وأخذ المدعوون ينصرفون الواحد تلو الآخر.

قاد جيفرى كارولين الى الشرفة ثم سارا بين الأشجار الى حديقة منخفضة فيها مقاعد على مسافات ملائمة. غاصت كارولين فى أحد المقاعد وتنهدت بارتياح وأخذت تتأمل جمال الحديقة التى غمرها ضوء القمر.

اقترب منها جيفرى فصدته وقالت:

- «لا يا جيفرى».

فهز كتفيه بلا مبالاة ورفع ذراعه قائلا:

- «ولم لا؟».

«لأننى لاأبحث عن علاقة غير شرعية. فى استطاعتى أن أهديك صداقتى، لكن اذا لم يكن كافيا فمن الأفضل أن تذهب الآن».

«هل تظنين أن كنديدا ستقدم لزوجك صداقة؟».

- «كلا. لا أعتقد ذلك».

- «آه يا كارولين أيتها الحمقاء الصغيرة ألا تعرفين نيتها؟ ان الغيرة تكاد تأكلها لزواجك من دومنيكو. فمنذ سنوات وهى تعتبره ملكا خاصا بها، وهى لن تدع شيئا تافها مثل زوجته يقف فى طريقها».

- «هل تظن أن دومنيكو يحبها؟».

- «هل تعتقدين ان زوجك يحبك؟».

وأدركت - ولكن بعد فوات الأوان - أن قدمها انزلقت فقد كان جيفرى ينظر اليها فى دهشة بالغة منتظرا اجابتها.

فتمتمت تقول:

- «نعم... أعتقد ذلك».

- «من الواضح أن الأمور ليست على ما يرام بينك وبين دومنيكو. فلا تكلفى نفسك عناء الانكار! لقد صادفت عددا كبيرا من الزيجات غير السعيدة».

ثم رمقها بنظرة حادة وقال:

«ان كنديدا غانية لعوب وستفعل كل ما فى وسعها لتحصل على دومنيكو».

وأدركت من نظرته انه كان يحب كنديدا وأنها لا تريده. فأمسكت بذراعه برفق وحنان وجلسا غارقين فى أفكارهما.

استطرد جيفرى قائلا:

- «مهما بلغ الأمر بينكما فاننى أنصحك بأن تحاولى قدر استطاعتك اصلاحه فى أقرب فرصة اذا اردت الاحتفاظ بدومنيكو. وبالنسبة الى فسأفعل كل ما فى وسعى لامنعها من التمادى».

رجفت كارولين واهتز جسدها قليلا وجذبها لتنهض وحثها على العودة الى المنزل وسارا تجاه النافذة ليدخلا الغرفة حيث تركا كنديدا ودومنيكو. وكادت كارولين تدخل لولا أن جيفرى أمسك بذراعها وجذبها الى حيث لا يراهما الشخصان اللذان كانا مستغرقين فى الداخل.

لم تكن كارولين تنوى التنصت، الدهشة جعلتها لا تقوى على النطق ولو بكلمة. ثم نظرت عبر النافذة فاضطرب قلبها وكأنه انقلب رأسا على عقب.

كان ظهر كنديدا تجاهها ووجه دومنيكو بين يديها وقد ثبت عينيه على وجهها. وكانت تتكلم فى إلحاح قائلة:

- «لماذا فعلت ذلك يا دوم؟ اننى أعرف أنك كنت ولا تزال تحبنى انا وحدى! لماذا تزوجتها؟».

ولم تنتظر اجابته لكنها ألقت بذراعيها حوله وراحت تبكى. لم تعد كارولين قادرة على متابعة ما يحدث. اشاحت ببصرها عن النافذة وانسلت عبر نافذة غرفة الطعام وهرولت الى غرفتها.

٧ـ صداع نصفى!!

ألقت كارولين بنفسها على مقعد فى الشرفة وهى تمسك بقلم بين أصابعها واستقر على ركبتها دفتر لكتابة الرسائل، بينما كان الطفل فيتو يلهو تحت ظل شجرة كبيرة بالدمى التى اشتراها له دومنيكو.

ومنذ ليلة الحفلة وهى لا تكاد ترى دومنيكو، فالعمل تراكم فى غيابه والعبء تضاعف عليه لأن فيتو لم يعد له وجود ولكنها كانت تعتقد بأن لديه وقت فراغ يمكن ان يمضيه معها.

كان يقوم بزيارات سريعة الى منزله كل مساء ليستحم ويبدل ملابسه ثم يعود الى الخارج. كان يبكر فى الخروج الى العمل كل صباح قبل أن يستيقظ أحد فى المنزل ولم يكن يعود حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى. وفى المرات النادرة التى قابلته فيها كان يكتفى بالقاء نظرة خاطفة وتحية موجزة دون أن يبدى لها أى اعتذار عن غيابه.

واستبد بالعمة رينا غضب شديد، وأرادت أن تعرب له عن احتجاجها على اهماله الكبير لأسرته، لكن كارولين أثنتها عن ذلك، فهى أيضا كانت فى حاجة الى فسحة من الوقت تحدد فيها موقفها

www.elromancia.com

وتقرر كيف تتصرف. كانت واثقة من شيء واحد فقط هو أنها يجب أن تهرب بعيدا الى حيث تنعم بالراحة، وحيث لايستطيع دومنيكو الاهتداء اليها.

ولكن ينبغى عليها قبل كل شيء العثور على دورندا فلو حدث ذلك لأمكنها مصارحة دومنيكو بالحقيقة وعندئذ يصبح حرا فى الذهاب الى كنديدا. وطردت الأفكار التى راودتها فى تلك الليلة عندما اكتشف أنهما يتبادلان الحب. ومنذ ذاك الحين استسلمت الى قدرها المحتوم وارتضت حقيقة الحلم الحزين الذى طالما تمنته من كل قلبها، وهو أنه لابد أن يجيء يوم يحبها فيه دومنيكو ويطلب منها البقاء، حتى بعد وقوفه على الحقيقة. لقد أحسنت تقمص دورها أكثر مما ينبغى ولا سبيل الى تغيير الرأى الذى كونه عنها، خاصة فى الوقت الراهن وكنديدا الى جانبه لتواسيه.

التقطت دفتر الرسائل وبدأت فى الكتابة. كانت الرسالة الاولى من نصيب السيد ولكنز ترجوه الاستعانة بشخص يقوم بالبحث عن دورندا وأوضحت له مدى حاجتها الملحة الى ذلك راجية إياه ألا يلتمس أى عذر يثنيه عن البحث عنها.

بعثت بالرسالة الثانية الى جين وقد احتاج هذا منها الى مجهود أكبر وتفكير أعمق. ففى المدة التى سبقت زواجها كتبت الى جين رسالة موجزة تبلغها فيها نبأ رحيلها المفاجيء من انكلترا دون التطرق الى التفاصيل. ووعدتها بالكتابة اليها بتفصيل أكبر عندما تستقر، لكنها لا تعرف الآن من أين تبدأ وعما يمكن أن تحدثها. لقد كانت جين على قدر كبير من الذكاء، كما أنها لم تكن راغبة فى خداعها اذ سئمت ان تستمر فى الخداع الذى اضطرت الى اعتماده منذ زواجها، وهى لم

تكن تنوى الكذب على جين. وفى الوقت ذاته لم تكن تستطيع التوسع فى رواية هذه القصة القريبة من الخيال دون أن تفضح أمر دورندا. وعضت على قلمها وهى تفكر فيما تكتبه وما يمكن أن تتركه. وأرضت نفسها بأن كتبت رسالة مرحة لا تفضح حقيقة ما تعانيه، ووعدت صديقتها بزيارة فى أقرب فرصة لتقص عليها التفاصيل. ووضعت الرسالة فى مظروف أغلقته سريعا قبل أن تغير رأيها راجية أن تعالج بذلك قلق جين ازاء زواجها المفاجيء من رجل لم تكن قد سمعت عنه من قبل.

سمعت وقع خطوات فاستدارت واذا بالعمة رينا آتية من الداخل لتجلس معها فى الشرفة. كانت تزور احدى صديقاتها وبدا عليها الارهاق، كما هى حالها كلما اتعبت نفسها.

وبادرت كارولين الى مساعدتها على الجلوس الى جانبها، وعاتبتها برقة قائلة:

- «يا عزيزتى أرجو أن تأخذى قسطا أكبر من الراحة وتطيعى أوامر الطبيب فأنت تبدين مجهدة. اجلسى لتستريحى وسأنادى ايمانيويل ليحضر لك شرابا منعشا».

وقبلت العمة رينا اقتراحها شاكرة وجلست إلى جوارها وقالت:

- «شكرا يا كارولين فما أجمل ذلك. انك تبعثين الطمأنينة الى قلبى».

ثم أمسكت بيد كارولين ورمقتها بنظرة حنان. فتأثرت كارولين واغرورقت عيناها بالدمع. ما أسعدها بحب هذه السيدة العجوز.

. «لماذا ترهقين نفسك يا عمتى رينا؟».

. «لماذا ؟ لست أدرى . إننى أجد الراحة مستحيلة. وعلى دائما أن أفعل شيئا ما أو أذهب الى مكان ما».

وأضافت :

. «أظن أن السبب هو أننى لا استطيع الكف عن التفكير فى ابنى. آه لو استطيع معرفة ماذا حدث له وكيف لقى حتفه وفى أى مكان. فلعلى كنت أجد فى ذلك القليل من الراحة».

اتجهت اليها كارولين وأمسكت بيدها تضغط عليها فى عطف وحنان. فقد شعرت بعجزها عن تخفيف آلام هذه السيدة. كانت هذه هى المرة الأولى التى تتخلى فيها عن الدرع التى وضعتها حول نفسها تحتمى بها كلما ذكر اسم فيتو. ولم تعرف كارولين كيف تتصرف.

سألتها برقة:

. «هل يريحك أن تتحدثى عنه؟».

. «لا أظن أن هناك ما يجلب لى الراحة».

وبعد فترة صمت ليست قصيرة بدأت العمة تتكلم عنه قائلة:

ـ «كان ابننا الوحيد طالما دعونا الله لأن يرزقنا طفلا، فلما منّ الله علينا به فرحنا به كثيرا واكتملت سعادتنا أخيرا عندما جاء دومنيكو ليعش معنا هو الآخر. وكان الولدان وسيمين وكنت أشعر بالفخر كلما زارتنى أمهات الفتيات اللواتى كن يصحباهما الى الحفلات ويبدين اعجابهن بسلوكهما. وبقيت سنوات طويلة وأنا أمل أن أراهما يأتيان

الى ليخبرانى بأنهما قد اختارا زوجتيهما، وهو أمر كنت أخشاه فى الوقت نفسه».

ومضت تقول :

. «كم كان سيسعدنى أن أرى فيتو بصحبة زوجة مثلك يا عزيزتى. ولكن ذلك أصبح مستحيلا الآن».

جففت عينيها واستطاعت الابتسام بعد استجماع شجاعتها وصممت على أن تنفض عنها الكآبة التى استولت عليها.

سألتها كارولين:

. «هل كان هناك شبه بينهما؟».

. «كان الشبه بينهما بدرجة كبيرة، فهما من آل فيكارى لكنهما كانا على طرف نقيض من حيث المزاج. كان فيتو أكثر تقلبا من دومنيكو الا أننى أعتقد أحيانا أن وفاة والد دومنيكو ووالدته كانت السبب المباشر فى تلك الكآبة التى سيطرت عليه. كان يحبهما كثيرا وطبيعى أنه كان يتذكرهما ويتذكر الأوقات السعيدة التى قضاها معهما. بذلنا أقصى ما فى إمكاننا لنحل محلهما، وهو أمر لا اعتقد أننا نجحنا فيه كل النجاح . وحتى الآن لا يزال دومنيكو حتى فى أسعد لحظات حياته يتحدث بعينيه عن شعوره بفقدان والديه».

وبعد تردد قليل قالت:

«آمل يا عزيزتى أن تنجحى أنت حيث فشلت أنا وأن تتمكنى من تبديد أحزانه الى الأبد».

واسترعى الطفل فيتو انتباههما عندما سقطت منه احدى لعبه وما أن سمعتا صوته الحزين حتى وثبتا على الفور لمساعدته. لم يلحق به ضرر ولكن العمة رينا التى كانت تتلمس الفرص للاهتمام به دون أن تبدو وكأنها تدلله، حملته بين ذراعيها وعادت من جديد إلى مقعدها فى الشرفة. كانت كارولين تهم بمصارحة العجوز بأحزانها ومخاوفها لكن جرس الباب رن فأسرع اليه ايمانيويل، ثم حدثت جلبة قصيرة أثارت فضولهما فنهضتا لاستجلاء سبب ذلك ووجدتا أكواما من الصناديق وايمانيويل يقوم بصفها فى إحدى الزوايا مع رجل آخر. وشهقت كارولين عندما عرفت أن ملابسها وصلت من باريس وقالت للعمة رينا وهى تستدير نحوها وقد علتها الدهشة:

- «لابد أن فى الأمر خطأ ما، لأننى لم أطلب كل هذه الملابس! ولا بد أن أوضح الأمر للحمال».

لكن الحمال صمم على رأيه قائلا:

- «ان كل صندوق وارد فى الفاتورة وليس ثمة خطأ يا سيدتى وأنا متأكد تماماً أن كل هذه الطرود لك».

نظرت الى الكمية المذهلة من الملابس. كانت قد طلبت ستة فساتين للصباح وثوبين للمساء وبعض الملابس للشاطىء وبعض الملابس الداخلية وغيرها للسهرة. وهذا كله قليل بالنسبة الى هذه الكمية الهائلة التى وصلتها والتى ستضيق بها حتما خزانة ملابسها الضخمة.

ثم تذكرت أنها غابت فترة عند مصفف الشعر وتركت دومنيكو وبريجيت بمفردهما. لابد أنهما تآمرا عليها فى هذه الفترة، ولابد أن دومنيكو هو المسؤول عن هذا التبذير.

نقل ايمانيويل الصناديق الى غرفتها. وبدأت تفتحها وهى تقاوم مشاعرها بينما أخذت العمة رينا تبدى اعجابها اللامتناهى فى مبتكرات بريجيت.

أبقت كارولين صندوقين كبيرين الى النهاية ولما فتحتهما أسعدها أن تجد فى أحدهما فروا دخانى اللون، وفى الآخر ثوبا من الفرو الأبيض الغالى الثمن الذى بدا وكأنه مصمم خصيصاً لاحدى الاميرات.

وعقدت الدهشة لسان كارولين. وربتت العمة رينا على يدها برقة وضحكت لما رأته على وجهها من امارات الذهول والدهشة ثم قالت:

- «أستطيع القول إن هدايا دومنيكو أسعدتك...».

- «آه يا عمتى رينا! لابد أنه دفع ثمنا كبيرا لها، فلم أر فى حياتى ملابس بهذا القدر ولا حتى فى محلات الأزياء. اننى أكاد لا أصدق أنها لى. متى سأرتديها جميعا؟».

- «لا تقلقى يا طفلتى ستتاح لك الفرصة لارتدائها، فأنت زوجة أحد رجال الأعمال البارزين فى روما ويتحتم عليك أن تقيمى المآدب وتقبلى الدعوات، فلا تخافى. لن تلبثى أن تسأمى هذه الثياب عندما تجدين نفسك فى دوامة الحياة الاجتماعية. مرة أخرى أقول انك مدينة لدومنيكو لأنه جعل منك واحدة من اكثر السيدات اناقة».

وتبدد جزء من سرورها بالهدايا عندما أشارت العمة رينا دون قصد منها الى سبب تبذير دومنيكو. فهو لم يشتر لها هذه الملابس بهدف إدخال السرور الى قلبها بل اشتراها ليزداد أهمية فى نظر زملائه من رجال الأعمال وزوجاتهم. فقد كان عليها أن تعزز مركز

أسرة فيكارى بما ترتديه من ملابس خرافية ومجوهرات لا تقدر بمال. فهى لا تعدو أن تكون مجرد تمثال تعلق زخارف الثراء اكتسابا لمزيد من الأهمية لدى منافسيه.

وعندما انصرفت العمة رينا بدأت ترتب ملابسها فى الخزانة الفسيحة حتى ملأتها تمامًا. وبدلا من إغلاقها أخذت تتناول الثياب بطريقة عشوائية لمجرد ادخال السعادة الى قلبها. ونسيت انها كانت ترتدى الجينز والقميص عندما قابلت دومنيكو للمرة الاولى وغابت فى حلم وهى ترى نفسها مرتدية ثوبا مختلفا فى كل مرة يستدير دومنيكو لينظر اليها وعلى وجهه نظرة سرور وهو يرى فتنتها فى أروع صورها بهذه الملابس المذهلة والفراء الباهظ الثمن. وبينما هى غارقة فى خضم افكارها دق الباب فنقلها ذلك من قمة أحلامها الى أرض الواقع ونادت بصوت عال:

- «ادخل».

كانت أدلينا.

- «هناك رجل يريد التحدث اليك فى التليفون».

- «أشكرك يا أدلينا سأنزل حالا».

أغلقت خزانة ملابسها وأسرعت الى القاعة التى فيها التليفون وتناولته قائلة:

- «ألو؟».

- «كارولين؟ أنا جيفرى. هل أنت مشغولة الآن. اذا لم يكن لديك اى عمل فهل تأتى؟ أكاد أجن من الملل، وأحتاج الى من يؤنسنى.»

- «لا يا جيفرى لا يمكننى ذلك».

«ولم. هل أنت خائفة مما قد يقوله سيدك ومولاك؟ ان السبب الوحيد للفراغ الذى أشعر به الآن هو أنه سرق منى فتاتى المفضلة. كلما طلبت رؤيتها اجابت بأنها ستقابل دومنيكو.»

- «أسفة يا جيفرى فلدى الكثير من الأشياء التى تشغلنى ولا أستطيع الخروج معك».

ولم تستجب للصوت الذى كان ينادى فى داخلها ويقول لها: ان دومنيكو يمتع نفسه فلم لا تفعل هى الشىء نفسه. لكنها أرادت أن تكون فى المنزل هذا المساء لتشكره على هداياه عندما يعود.

وسمعت تنهده عبر الأسلاك بعد أن أيقن عبث محاولة الضغط عليها، قال لها:

- «حسنا اعترف أننى هزمت لكننى سأتصل بك ثانية فيما بعد فربما تغيرين رأيك».

- «آه ولكن...».

كانت كارولين على وشك الاعتراض لكنه كان قد وضع السماعة. ونسيته عندما عادت الى غرفتها لتختار الفستان الذى ترتديه هذا المساء عندما تقابل دومنيكو. كانت تعرف أنها يجب أن تتصرف بسرعة قبل ان يعود الى الخروج. لكنها قررت انتظاره حتى يستحم ثم تعترض طريقه قبل أن يسرع الى الخارج كما يفعل فى الفترة الأخيرة.

وأمضت الكثير من الوقت وهى تفكر فى اختيار ثوبها. كانت العمة رينا تصر دائما على أن ترتدى ثوبا جديدا فى العشاء حتى ولو لم يكن

www.elromancia.com

هناك غيرهما. فأخذت تتأمل فى ثان ملابس المساء. كان معظمها فاتح اللون لكن كارولين قررت أن ترتدى ثوبا أسود. كما اعتزمت القيام بتصفيف شعرها دون مساعدة أدلينا.

ولم تسأل نفسها وهى تستحم وتزين وجهها ماذا تريد من دومنيكو ولم تكف عن التساؤل لماذا تقوم بكل هذا الجهد من أجل رجل فعلت المستحيل لكى تنفره منها. ففى الأيام القليلة الماضية استولى عليها قلق لم تستطع تفسيره. كانت الأيام تمر ببطء وداخلها شعور بالخيبة واحساس بأنها تتعرض لمعاملة سيئة كلما أسرع دومنيكو داخلا أو خارجا من المنزل دون أن ينظر اليها أو يكلمها. أما هذه الليلة فقد أحست بتبدل ملحوظ وأرادت أن يكون معها شاب يشاركها ذلك. شاب مثل دومنيكو عندما كان فى باريس يضحك ويمزح ويغازل.

انتهت من زينتها ولم يعد أمامها سوى انتظار دومنيكو فجلست وقد عقدت يديها فى حجرها تتوقع سماع صوت سيارته ووقع خطواته تعلن عن وصوله.

وتناولت العشاء مع العمة رينا التى أكدت لها أنها فاتنة فى هذه الليلة وقالت:

- «سأطلب من دومنيكو أن يصحبك لمشاهدة بعض معالم المدينة بعد العشاء، إنك لم تخرجى من المنزل منذ وصولك وسيتملكنى الغضب كثيرا اذا ظل على هذه الحال بعد اليوم».

وبعد انتهائهما من تناول العشاء واحتساء القهوة جلستا فى الشرفة لكن دومنيكو تأخر ولم يصل إلا بعد أن حل الظلام.

نهضت عمته سريعا وعلى وجهها نظرة اصرار لمقابلته. وسمعتها كارولين وهى تتحدث اليه ثم تطلق صرخة بدت وكأنها ترثى له. ولم يتكلم دومنيكو إلا مرة واحدة لكنها لم تفهم ماذا قال فقد كان صوته مختلفا، تنقصه القوة والسيطرة الى حدما بدرجة لم تتعودها. وسمعت كارولين وقع خطواته على الدرج فوثبت لتلحق به لكن العمة رينا دخلت الغرفة ورفعت يدها لكى توقفها قائلة:

- «لا، لا تفعلى هذا يا كارولين!».

- «لكنى أريد أن التحدث اليه دقيقة واحدة يا عمتى رينا».

- «فى وقت آخر يا عزيزتى. اتركيه الآن لأنه ليس على ما يرام».

- «ولكن ماذا به؟».

- «أؤكد لك أن التزامه الراحة بعض الوقت مع الهدوء كفيلان باعادته الى حالته الطبيعية مرة أخرى. لا تنزعجى يا عزيزتى فانه مجرد صداع نصفى أصيب به منذ أن كان فى السابعة من عمره بعد وفاة والديه. وكثيرا ما تساءلت عما اذا كانت هناك صلة بين الأمرين».

فرددت كارولين كلامها فى ذهول وقالت:

- «مسكين يا دومنيكو».

- «هل عانيت منه يا كارولين من قبل؟».

- «كلا ولكنى كنت أمرّض والدى عندما تعتريه النوبة فقد كان ضحية هذا المرض هو الآخر وكثيرا ما كان يطلب الموت اذا اشتد عليه الألم. وكنت أخفف عنه وطأته بوضع منشفة باردة على جبينه وتدليك

www.elromancia.com

رقبته. وبعد ساعتين من النوم يصحو ممتلئا حيوية».

. «أود لو تفعلين الشيء نفسه مع دومنيكو يا طفلتي، لكنه لا يسمح لأحد بدخول غرفته عندما تعتريه هذه الحالة، ويظل ملازما الغرفة حتى يزول الألم لكنني أسمعه أحيانا يتجول في الغرفة. وصف له الأطباء أقراصا ولكنه يرفض تناولها لأنها في رأيه لا فائدة منها حيث لا تساعد على التخفيف من آلامه. ويرى الأطباء ان هذا الصداع النصفي قد يكون عائدا الى حساسية خاصة أو الى اجهاده في العمل. ولكن أيا كان سببه، فالطب يقف عاجزًا عن علاجه».

أرادت كارولين أن تذهب اليه ولكن العمة رينا منعتها قائلة:

. «سيغضبه ذلك فهو يفضل البقاء وحيدا الى ان يزول الالم».

اتجهت كارولين الى غرفتها وبدأت تخلع ملابسها. لم تسمع صوتا صادرا من غرفة دومنيكو، فتمنت أن يكون قد خلد إلى النوم وسارت على أصابع قدميها حتى الباب الذي يفصل غرفتيهما واسترقت السمع لكن كانت الغرفة هادئة تماما. نظرت الى الباب وتمنت لو تفتحه، ولكنها تذكرت كلمات العمة رينا فسحبت يدها.

كانت تعلم أن في استطاعتها التخفيف من آلامه، فقد كان أبوها يقول إنه لولا وقوفها الى جانبه عند اشتداد الألم لما توانى عن الانتحار تخلصا من الألم. لكن الصلة بينها وبين أبيها كانت قوية. أما دومنيكو فلن يسمح لها برؤيته وهو في هذا الوضع الذي يبدو فيه ضعيفا، متخاذلا!

وهكذا لم تجد مفرًا من الانسحاب عائدة الى غرفتها!

٨ـ خطة شيطانية!

مرت ساعات منذ ان اتخذت كارولين قرارها. جلست في فراشها تحدق في السقف الزخرفي دون أن تتمكن من رؤية أي شيء. ولم تستطع الاستسلام للنوم بسبب تفكيرها في الالم الذي يعتصر دومنيكو في الغرفة المجاورة.

وفجأة سمعت جسما يرتطم بالأرض في الغرفة المجاورة فنهضت من فراشها لعلها تسمع ما يدلها على أنه مازال مستيقظا. وأخذ قلبها يخفق بسرعة عندما وثبت من فراشها وذهبت الى الباب الذي يفصل بينهما لكن الصمت كان سائدا. لم تحتمل الانتظار فقد كان يساورها القلق فارتدت ثوبا ثم عادت الى الباب وأدارت المقبض.

كانت الغرفة تسبح في الظلام بفعل الستائر التي تغطي نوافذها لتحجب أكبر قدر ممكن من الضوء. خطت الى الأمام لتسأله عما اذا كان يريد مزيدا من الماء. وشهقت اشفاقا عليه عندما فتح عينيه وهي تتأمله، فقد عكستا ما في داخله من ألم. كان مقطب الجبين شاحب الوجه. وبدا شعره الأسود الذي اعتاد أن ينسقه بدقة أشعث رطبا بعد أن مر بأصابعه خلاله في محاولات يائسة للتخفيف من ألمه. أما أغطية الفراش فقد تناثرت هنا وهناك.

www.elromancia.com

وحاول أن يمزج صوته بنبرة آمرة ولكن صوته عكس ما فى عينيه من ألم فقال لها فى ضعف:

- «اذهبى ودعينى وحدى».

تحركت كارولين تجاه الباب قائلة:

- «سأذهب الى الطابق الاسفل يا دومنيكو وسأعود».

وعادت بعد دقائق تحمل إناء فيه ماء ومكعبات من الثلج وضعته الى جانب الفراش ووضعت فيه منشفة نظيفة. وبرفق أعادت رأسه الى الوسادة عندما حاول الجلوس ليرفع صوته محتجا على تصرفاتها، واضطر الى الاستسلام أمام قوة إصرارها.

لم تحاول ترتيب الفراش لأن أى حركة تسبب له ألما شديداً. عصرت المنشفة ووضعتها على جبينه المقطب. فتنهد وجذب نفسا عميقا وقال:

- «إنى أشعر براحة الآن يا كارولين».

وفى صبر أعانته، فكانت تضع المنشفة على جبينه حتى اذا صارت دافئة استبدلت بها غيرها. وأغمض جفنيه دون أن ينام وكانت كلما رفعت الكمادات الباردة لتغيرها يمسك بيدها ليبقيها أطول مدة ممكنة.

جلست على حافة الفراش وتركت المنشفة مكانها ثم بدأت تدلك جانب رقبته التى انقبضت عضلاتها نتيجة للتوتر الناشىء عن الألم.

وبدأ يسترخى تدريجيا وأخذ تنفسه يزداد عمقا واستغرق فى النوم دون ألم. واستمرت تدلكه حتى تعبت يداها فتوقفت لحظة لتتأكد من نومه.

وبينما هى تنتظر تمتم ببضع كلمات ثم تحرك وأحاط خصرها بذراعه ولم تواتها الجرأة على التحرك خشية أن توقظه وتعيد اليه ما

سكن من آلامه، فجلست فى هدوء تنتظر حركته الثانية حتى تستطيع الهروب بعيداً عنه.

إلا أن دومنيكو كان مستغرقا فى نومه. وبدأت تحس بثقل ذراعه حول خصرها النحيل وبدأت التقلصات تخدر أصابع قدميها وأخذت تحركها لتعيد جريان الدم الى قدميها من جديد وحاولت التخلص من ذراعه لكنه حرك رأسه وتمتم بكلام غير مفهوم. ولم تجازف بالحركة الثانية فرفعت ساقيها الى الفراش وعندما استلقت على وجهها أخذت التقلصات تختفى فأراحت رأسها على الوسادة. وشعرت بزفرات دومنيكو على خدها واحتقن قلبها بالدم وهى تنظر اليه. كم يكره أن تراه وهو واهن كما هى حاله الآن.

عندما بدأت خيوط الشمس الأولى تتسلل عبر الستائر الى الفراش تحركت فى هدوء وانسلت الى غرفتها. وما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى غابت فى نوم عميق.

واستيقظت بعد ساعات على خشخشة صينية الفطور ودهشت وهى ترى أدلينا تتقدم نحو فراشها قائلة:

- «صباح الخير يا سيدتى. هل نعمت بنوم هادىء؟».

- « صباح الخير يا أدلينا، لماذا أحضرت فطورى الى هنا يا أدلينا؟ تعرفين اننى دائما أتناوله فى غرفة الطعام. كم الساعة الآن؟».

- «العاشرة يا سيدتى. وقد أصر السيد فيكارى على ألا نوقظك باكرا وأن تتناولى فطورك فى الفراش».

احمر وجه كارولين وقالت:

- «السيد فيكارى هل هو أحسن حالا؟».

- «استيقظ باكرا وذهب الى العمل قبل الثامنة وكان يصفر طوال الوقت قبل خروجه. أحسن حالا؟ نعم لابد أنه كذلك!».

كانت عينا أدلينا تتلألأن فى سعادة وهى تجيب عن أسئلة كارولين التى ازداد وجهها احمرارا وهى فى دهشة مما تعرفه الخادمة الوفية العجوز عن سيدها.

واستمتعت بفطورها الى أبعد حد، ولما فرغت منه أخذت دشا وارتدت ثوبا لونه زاه كضوء الشمس وذهبت الى الشرفة لتجلس مع العمة رينا. وتساءلت عن مدى ما تعرفه العمة عما حدث الليلة السابقة فشعرت بالخجل وهى تقترب من مقعدها.

ولكن لم يكن هناك داع لقلقها اذ أن عينى السيدة العجوز كانتا صريحتين وجاءت الأولى لتبدد خجل كارولين.

- «سيسعدك أن تعرفى أن الصداع النصفى زايل دومنيكو يا عزيزتى.

ألم أقل إنه سيكون فى خير هذا الصباح؟».

- «هل رأيته يا عمتى؟».

- «لا ولكن أدلينا أخبرتنى بأنه استيقظ باكرا وكان يغنى وهو يستحم فلابد انه كان على ما يرام».

وأضافت :

- «لم يسبق لى أن رأيت دومنيكو وهو يغنى بعد نوبة من نوباته. لعل النوبة لم تكن شديدة هذه المرة. نعم لابد أن هذا هو السبب».

وابتسمت كارولين ابتسامة خفية وقالت لنفسها: إذا كانت تلك النوبة خفيفة، فلتترفق السماء بدومنيكو المسكين عندما تنتابه نوبة قوية!

ومر اليوم فى بطء وهى تنتظر عودته بفارغ صبر. وأمضت وقتها تلهو مع فيتو كما قضت بعض الوقت فى المطبخ مع أدلينا التى كانت تحب أن يشاهدها أحد وهى تعمل. وكانت على استعداد لأن تقص على كارولين ما كان يفعله دومنيكو وفيتو فى صباهما. وكانت كارولين من ناحيتها تتصت باهتمام، اذ راق لها أن تعرف كل شىء عن دومنيكو وبوجه خاص كم كان عدد الفتيات اللواتى أحضرهن إلى المنزل قبل زواجه. كانت أدلينا منجما من المعلومات فى هذا الصدد وبدأت كارولين ترسم لدومنيكو صورة لا تمت بصلة الى ذلك الرجل المتجهم الوجه، بل تشبه صورة دومنيكو الذى عرفته لساعات قليلة فى باريس، وساءها أن تدرك أنه لم يتحول الى الأسوأ إلا بعد أن قابلها. ولكن لعل فى إمكانها بعد الليلة أن تعلن الهدنة . لعله يعود من عمله ويطلب منها أن ترتدى أفضل ملابسها ليريها جانبا من الحياة الليلية فى روما المدينة الخالدة! كم كان يحلو لها أن تكتشفها.

اهتمت بارتداء الثوب نفسه الذى ارتدته فى الليلة السابقة دون أن يتمكن من رؤيته وسمعت كارولين صوت العمة رينا وهى تتحدث الى أدلينا قبل النزول إلى الطابق الارضى وأحست بقلبها يهبط. واحتقنت الدموع فى عينيها وابتلعت ريقها بصعوبة، منذ الليلة السابقة وهى تنتظر عودته ليأخذها الى الخارج. ولن تبالى حتى ولو أراد معاملتها ببرود ويبتعد عنها. ستصارحه بانها لم تعد تطيق الوحدة وستنتظر طوال الليل اذا دعا الأمر، ثم تخبره بأنها لا ترغب فى البقاء سجينة أكثر من ذلك.

كانت ترجو أن تصلها أخبار عن دورندا حتى اذا تمكنت من الاتصال بها رحلت من روما الى الأبد. ولكن ذلك لن يكون قبل أن تختزن لنفسها بعض الذكريات عن المدينة التى يعيش فيها دومنيكو. كانت فى حاجة ماسة الى ما يذكرها به عندما تتركه بلا رجعة، بعض الذكريات السعيدة التى تعيش عليها عندما تصبح حياتها مجرد فراغ.

كانت العمة رينا قد ذهبت لفراشها وكانت كارولين تستمع الى الموسيقى عندما سمعته يدير المفتاح فى الباب. هزت نفسها لتنفض عنها ما استولى عليها من نعاس ثم نهضت.

وبدت خطوات دومنيكو تتجه الى الطابق الاول فأسرعت للحاق به قبل أن يغيب فى غرفته. وعندما وصلت الى الباب كان قد صعد الى منتصف الدرج والتفت مندهشا حينما سمعها تناديه باسمه:

. «دومنيكو!».

. «ماذا تفعلين فى هذه الساعة المتأخرة؟».

ترددت للحظات ثم استجمعت شجاعتها قدر الإمكان وقالت:

. «كنت انتظرك يا دومنيكو فاننى أريد التحدث اليك».

واستوقف نظره ثوبها الذى بدت فيه وكأنها طفلة صغيرة جميلة وبدا الغضب فى صوته وهو يبتعد قائلا:

. «ألا يمكن أن نؤجل الحديث الى الصباح فأنا متعب جداً».

. «لا يا دومنيكو أريد التحدث اليك الآن».

فهز كتفيه واستدار ليتبعها الى غرفة الاستقبال. وجلست هى فى الأريكة بينما سار هو الى المدفأة ووقف نافد الصبر مترقبا ما تقوله.

خانتها كل العبارات والكلمات التى استعدت لقولها وأخذت تبحث جاهدة فى انفعال عن مقدمة تبدأ بها الكلام. فوفر عليه المشقة عندما قال لها وهو يبحث عن علبة السكائر فى جيبه:

. «قبل أن أنسى، أحب أن أشكرك على رفقتك معى الليلة الماضية».

حاولت ثانية أن تفاتحه فى موضوع سجنها فى المنزل ثم تنفست الصعداء عندما تذكرت أنها لم تشكره بعد على الملابس التى اشتراها وفى لهفتها تلعثمت وهى تقول:

. «أريد أن أشكرك على الملابس التى اشتريتها، وصلت أمس وانتظرتك فى المساء لأشكرك ولكنك كنت متعبا فكان على الانتظار الى اليوم. انها رائعة يا دومنيكو. لم أصدق عينى عندما فتحت الصناديق اننى عاجزة حقا عن شكرك».

أخمدت حماستها تلك النظرة الساخرة التى بدت على وجهه أثناء تدفقها فى الكلام. ظلت تحلم بامكان قيام صداقة بينهما فى الفترة القصيرة التى تعتزم بقاءها فى المنزل لكن نظرته دلت صراحة على أن معاملته لها لم تتغير.

. «أهذا كل ما تريدين قوله؟».

سحق سيكارته وكأنه أراد إنهاء الموقف وسار فى اتجاه الباب وكأن الحديث انتهى بالنسبة اليه.

. «لا يا دومنيكو انتظر!».

فاستدار ورفع أحد حاجبيه علامة الاستفهام. فتلعثمت مجدداً وهى تستطرد قائلة:

www.elromancia.com

. «أرجوك يا دومنيكو، أريد أن اخرج أحيانا، لآ..».

وارتفع صوتها فى سخط قائلة:

. «هل أدركت أننى لم أتمكن من الخروج من المنزل أبدا منذ وصولنا؟».

. «ها نحن وصلنا الى جوهر الموضوع! لقد سئمت الوحدة ولعلك تشتاقين الى ما يبديه نحوك صديقك الانكليزى السيد غراهام من اهتمام؟».

. «جيفرى لماذا أشتاق اليه؟ اننى لا أكاد أعرفه».

فأجابها غاضبا:

. «يبدو أن معرفتك به وصلت الى حد مناداته باسمه الأول».

. «طلب منى أن أناديه بجيفرى منذ الليلة الأولى وقد اعتدت على ذلك ربما لأن كلينا مغترب عن وطنه».

ثم قالت واثقة:

. «أو ربما لين العريكة. فى أى حال لا شىء بيننا وأؤكد لك ذلك».

. «لست فى حاجة لتأكيداتك. وأنا كفيل بألا تتطور صداقتك مع هذا الرجل. إن سلوكه مشين، وهو لا يؤتمن على امرأة. وفى المستقبل لن يجد ترحيبا فى هذا المنزل وقد أعطيت الأوامر للخدم لمنعه من الدخول اذا ما حضر».

نظرت اليه وقد امتلكها السخط وهى تقول:

. «كيف تفعل هذا يا دومنيكو؟ ماذا فعل جيفرى ليستحق منك معاملة كهذه؟ كان دائما سيدا مهذبا. ولم يفعل ما يستدعى صده. أما عن سمعته فلعلى أذكرك بأن ابنة عمك هى التى قدمته الى. يبدو أنك لا تمانع فى أن تراه وتجتمع به؟».

نظر دومنيكو اليها فى تأمل اذ كانت غاضبة من أجل جيفرى، وأخرج سيكارة أخرى وأشعلها قبل أن يبدأ فى الرد عليها:

«كنديدا ليست مسؤولة أمام أحد لكنك زوجتى وسلوكك ينعكس مباشرة على، فاذا كنت عاجزة عن التصرف بحذر فيجب على بوصفى زوجك أن أحد من نشاطك».

وظهرت الحيرة على وجهها واضحة وهى تتساءل عما يعنيه بالملاحظة الأخيرة التى أبداها.

. «ومتى تصرفت بغير حذر؟ هل لك أن تشرح لى ما تعنيه؟».

وبدأت الهواجس تنتابها فهى لم تكن تتوقع التطرق الى هذا الموضوع. قررت أن تقدم اليه غصن الزيتون طالبة منه الهدنة بطريق غير مباشر وتخفيفا من حدة التوتر بينهما. ولكنه كان كعادته عنيدا وشعرت وهى تتأمل وجهه المتجهم بأنه عازم على عدم التراجع. وأخذت تنتظر منه ايضاحا لكلامه دون أن يبدو منه أى استعداد لذلك. كانت تدق الأرض بقدمها فى نفاد صبر، وكانت لهجتها تنم عن كبرياء وتعال.

ويبدو أنه أعجب بها وهى تدق الأرض بقدمها وتخاطبه فى استعلاء، فابتسم، أو على الأقل انفرجت شفتاه، قليلا، أما عيناه السوداوان فقد زايلهما المرح. قال:

. «هل تنكرين أن ما قمت به من استعراض مع السيد غراهام فى الحفلة كان جريئا؟».

. «الاستعراض الذى قمت به؟ ماذا تعنى؟ لا يمكن أن تكون جادا يا دومنيكو. لقد رقصنا ولم يكن هناك اى استعراض».

www.elromancia.com

ثم خانتها عباراتها وضحكت ضحكة رنانة للوصف الذى أطلقه على تصرف لا يعدو أن يكون رقصة ممتعة.

لكن هذا الكلام لم يعجب دومنيكو، وبعد لحظات اختفت ضحكاتها وحل الغضب مكانها. وقالت فى هدوء:

- «هل تعنى ما تقول من أننى تصرفت باستهتار يا دومنيكو؟».

واكتفى بأن ألقى بعقب سيكارته فى المدفأة. ولم يهتم بأن ينظر اليها وازداد غضبها لأن صمته أكد لها حدسها. كان يظن بأنها لا تستطيع الثورة لكرامتها ولكن اتهامه لها ولد لديها الرغبة فى الانتقام.

- «زوجة قيصر يجب أن تكون فوق كل الشبهات. أهذا ما تريده يا دومنيكو؟ أما قيصر نفسه فلا بأس اذا ما تخلف عن القيام بواجباته، بينما تبقى زوجته بعيدة عن اى اتهام!».

- «ما معنى ذلك بالضبط؟».

- «يعنى اننى ربما كنت مذنبة لاستمتاعى برقصة مع رفيق ممتاز إلا اننى لم أفقد صوابى بين ذراعيه كما فعلت أنت مع كنديدا! ولعلك لم تلاحظ ان هناك متفرجين فى هذه المناسبة. أو لعل سحرها قد سيطر عليك وجعلك لا تبالى».

واستطاعت بكلماتها أن تنال منه لأن لونه بدأ يتغير واستدار ليواجهها وعلى شفتيه المرتجفتين سيل من الكلمات الغاضبة، ثم تماسك بعد جهد كبير وابتلع ما كان يوشك أن يقوله. وبذل جهدا ملحوظا لاستعادة رباطة جأشه وبدا من عباراته أنه قرر تجاهل اتهاماتها واعتبارها كأن لم تكن.

- «ستبقين فى هذا المنزل حتى أسمح لك بمغادرته. ولتعلمى فان هذا جزء من المخطط الذى وضعته لكى تتعلمى كيف يتصرف القوم النبلاء الذين يعيشون فى شرف وتبقى تحركاتهم فوق الشبهات».

وتجاهل شهقة الفزع التى بدرت منها واستطرد:

- «لست أجد لك معلما أفضل من عمتى، وأتمنى أن تدركى من العيش معها خطأ تصرفاتك، وربما مع مرور الوقت تنطبع فيك بعض صفاتها. ومتى تأكدت من انك تستطيعين أن تحتلى مكانك فى المجتمع دون جلب العار على الاسم الذى تحملينه، فعندئذ اسمح لك بأن تأخذى مكانك الى جانبى تستقبلين الضيوف وتتصرفين كما ينبغى على الزوجة أن تفعل. وستكونين خاضعة للتجربة فاذا تعلمت الدرس سريعا كان اطلاق سراحك أقرب مما لو حاولت المقاومة».

استمعت كارولين الى هذا القرار الفظ وهى غير مصدقة ما تسمع. وعندما انتهى ظلت جالسة فى هدوء عاجزة عن الاهتداء الى الكلمات المناسبة. فقد أخرستها الصدمة واستبد بها الغضب. أما دومنيكو فقد تأملها فى عدم مبالاة ثم انفجرت قائلة:

- «أيها المتزمت المتعجرف! كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذه الطريقة الفجة؟ كيف تجرؤ على أن تفكر فى بهذه الطريقة ؟ لن أغفر لك هذا الموقف أبدا!».

وهز كتفيه فى عدم مبالاة واستدار قائلا:

- «ليست لدى الرغبة فى مناقشتك. ولكن ثقى بأنك لن تغادرى هذا المنزل إلا بعد ما تصبحين ما اريدك ان تكونى».

- «هل تعرف العمة رينا هذه الخطة الشيطانية التى وضعتها؟».

وانتظرت رده فى تلهف، فقد شعرت بأن الحياة لا تطاق اذا كان لدى العمة رينا هذا الرأى الوضيع عنها. كانت تحب السيدة العجوز وكانت تشعر بأنها تبادلها ذات الحب. وأرادت أن تعرف ما اذا كانت شريكة فى هذه الخطة التى يراد بها إذلالها. وشعرت بارتياح عندما رد عليها قائلا:

. «لا بالطبع، انها تحبك الى درجة انها سدت أذنيها عن كل ما يقال ضدك ولا رغبة لى فى ازعاجها».

واضاف:

. «لابد انها تعرف شيئا لأنها ليست حمقاء كما تعلمين. وقد دارت بيننا لحظات عصبية اخيرا بسبب ما سمته باهمالى لك».

. «هل تظن أننى سأدعك تملى على ارادتك بهذه الطريقة يا دومنيكو؟ اعدك بأننى سأظل أقاومك حتى النهاية».

وفى غضب استطردت:

. «هل تظن اننا فى روما العتيقة وانك قيصر واننى جاريتك؟ لابد انك مجنون!».

ثم جمعت أطراف ثوبها وأسرعت من غرفة الاستقبال الى السلم دون أن تنظر اليه.

وخيل اليها أنها سمعت ضحكة ساخرة رافقتها الى أن أغلقت الباب وراءها.

٩ـ عودة الغائب!

أصابت الرجفة أصابع كارولين وهى تدير قرص التليفون. لقد انتصف اليوم وخلا المنزل الا منها ومن الخدم، أما العمة رينا فقد ذهبت ومعها الطفل فيتو لتزور بعض صديقاتها ولا يتوقع أحد عودتهما الا فى ساعة متأخرة من بعد الظهر. وكانت كارولين مدعوة هى الأخرى ولكنها رفضت الدعوة اذ كان لديها خطط أخرى تريد العمل على تنفيذها.

. «أهذا أنت يا جيفرى؟ أنا كارولين».

. «كارولين يا عزيزتى كم هو جميل منك أن تحدثينى تليفونيا».

. «هل أنت مرتبط اليوم بشىء معين؟»..

. «لاشىء. هل تمضين اليوم معى؟».

. «اذا لم يكن لديك مانع».

. «ارتدى ملابسك يا عزيزتى. سأكون عندك بعد عشر دقائق».

أسرعت الى غرفتها واختارت ثوبها الأخضر وحذاءها الأبيض وحقيبة يد ملائمة. وبدت جميلة وفاتنة عندما فتحت الباب لجيفرى.

www.elromancia.com

وهى لم تنس تعليمات دومنيكو بعدم السماح له بالدخول اذا حضر ولهذا اسرعت فى اتمام زينتها لتفتح له الباب بنفسها عند وصوله.

تذكرت نبرة دومنيكو العنيفة وهو يملى عليها شروطه فى تسلط. لقد ازداد اصرارها حتى أنها قررت فى النهاية الاسراع الى التليفون قبل أن تضطر الى التراجع.

قادها الى سيارته وانطلق بها فى انحاء روما. كانت هذه هى المرة الاولى التى ترى فيها روما على حقيقتها.

ولسوء الحظ أن رأى جيفرى فى الاماكن التى تستحق المشاهدة يختلف تماما عن رأيها. فلم يكن يهمه أبدا أن سبعة وعشرين قرنا قد مضت على بناء أم المدن، فانطلقت سيارته وهى تمر بسرعة أمام الصروح المشيدة والنافورات الملونة والكنائس الفخمة وصالات عرض الصور الفنية وأنزلها من السيارة أمام مطعم كستلو دى سيزارى أى قلعة القيصر.

والتفتت اليه كارولين عابسة الوجه وقد خاب رجاؤها فيه وهو يدفعها الى داخل المطعم. واعترضت قائلة:

- «ولكن يا جيفرى ظننت أننا سنرتاد الأماكن التى تستحق المشاهدة هناك أشياء كثيرة كنت أرغب فى رؤيتها مثل الكولوسيوم وحمامات كركلا».

- «لكن يا عزيزتى هذه الأماكن الأثرية لا يغشاها الا السياح. ولا اظنك تريدين الانضمام الى أفواج من الأجانب يثرثرون بلغات مختلفة ويصوبون آلات التصوير فى جميع الاتجاهات».

- «لم لا؟ اننى أجنبية ولا أتكلم الايطالية كما تعلم ولن أحس بغربة وأنا وسط هؤلاء السياح. أنت لا تعلم كم أتوق الى مشاهدة كل عجائب روما والآن وأنا فى قلب المدينة انطلقنا بسرعة ثم انحرفنا فى النهاية الى داخل مطعم».

وضع يده تحت ذراعها ودفعها برفق عبر باب المطعم قائلا:

- «اعدك بأن اصطحبك غدا فى جولة سياحية اذا وافقت الآن على دخول المطعم سنقابل بعض الأصدقاء».

فوافقت على عرضه وأجابها بسرعة أنه عند وعده.

وبعد فترة قصيرة تدفقت الدعوات عليها لاستضافتها لكنها راوغت المضيفين بحجة انه يجب عليها أن تراجع دومنيكو أولا. ورفضت أن تترك نفسها تفكر فى رد فعل دومنيكو عندما يكتشف أنها عصت أوامره. كان كافيا لها أن تعيش وتمتع نفسها.

وذهلت عندما أخبرها جيفرى بأن وقت العودة قد حان ولكن قبل أن يسمح لهما بالانصراف صمم صديقان لجيفرى على الحصول على وعد من كارولين بحضور حفلة للملابس التنكرية يقيمانها الليلة.

فى السيارة تذكرت أنه ليس لديها ثوب تنكرى ترتديه فى الحفلة وقالت:

- «تذكرت الآن فقط! اننى لا املك ثوبا تنكريا».

- «أتركى الأمر لى سأستأجر لك ثوبا مناسبا بمجرد أن أوصلك الى البيت».

www.elromancia.com

. «ولكن من أين لك أن تعرف مقاسى؟».

نظر اليها فى مكر ليحدد مقاسها ثم أطلق ضحكة وهو يلحظ الارتباك البادى عليها. وطلب اليها ألا تقلق لأنه سيختار ثوبا على مقاسها وسيكلف الشركة التى تؤجر الثياب بارساله الى منزلها.

وبعد أن وصلت العمة رينا الى المنزل بوقت قصير أحضرت الطفل وسلمته لأدلينا ليستحم ويتناول الطعام قبل أن يخلد إلى النوم. وما كادت تفعل حتى دق التليفون فرفعته العمة لترد وسمعتها كارولين تقول:

. «حسنا يا دومنيكو، اذا كان من الضرورى أن تفعل ذلك فافعله. ولكنى هيأت نفسى لان أتناول العشاء فى الخارج هذا المساء وهذا يعنى اما أن تصحبنى كارولين فينتابها الضجر من الاستماع لكثير من الذكريات عن صديقاتى الحميمات واما أن تبقى لتتناول العشاء بمفردها. انى أعتقد بأن معاملتك لها سيئة..».

وأغلقت التليفون بعنف تاركة دومنيكو على الخط مشمئزة من تصرفه. والتفتت الى كارولين قائلة:

. «هل سمعت؟».

. «نعم ولكن أرجو ألا تقلقى من أجلى. انى مدعوة الى حفلة هذا المساء فيمكنك أن تخرجى وتمتعى نفسك».

. «ان ذلك رائع يا عزيزتى. ولكن من سيكون رفيقك؟ ان دومنيكو مرتبط برفيق عمل كل السهرة».

. «سيصطحبنى السيد غراهام اتعرفينه؟ انه صديق كنديدا».

عبرت وجه العمة رينا سحابة من القلق عند ذكر اسم جيفرى وظنت كارولين بأنها ستسمع شيئا من الاعتراض على رفيقها. الا أن العمة ابتسمت وقالت:

. «انه شخص ساحر. للأسف ان دومنيكو لن يكون فى الحفلة. لن يتغير الا اذا شعر بالغيرة الحقيقية».

أسرعت اليها كارولين وقبلتها.

. «انك حقا عجوز ماكرة يا عمتى. وانا أحبك من أجل ذلك».

وبادلتها السيدة العجوز القبلة ودفعتها الى أعلى السلم لتجهز نفسها للحفلة. وفى طريقها الى الطابق الأعلى تقابلت مع أدلينا أثناء نزولها وطلبت اليها نقل الصندوق الذى كانت تنتظر وصوله الى غرفة نومها.

استمتعت كارولين بحمام طويل وعندما عادت الى غرفة نومها كانت تمتلكها السعادة. ورأت صندوقا كبيرا فلما فتحته وقفت مشدوهة اذ اشتمل على بضعة خيوط من النايلون وزى على الطراز البكينى مرصع بالترتر وله حمالتان للكتفين مرصعتان بالجواهر وخمار مع مجموعة كبيرة من الحلى الزجاجى البراق وحاولت ارتداءه وهى ممتعضة. ووقفت أمام المرآة وقالت:

. «انه زى همجى لابد أن يكون جيفرى مصابا بجنون. لا يمكننى ارتداء هذا الزى؟».

وقفزت عندما رن التليفون ومضت نحوه لترد عليه فدوى صوت دومنيكو يسأل:

www.elromancia.com

. «العمة رينا؟».

. «لا، أنا كارولين. عمتك خرجت».

. «ليس فى الأمر أهمية. سأتصل بها فى ما بعد. هل أنت وحدك؟».

. «نعم».

وانتظرت متمنية أن يقول لها إنه سيعود الى المنزل حتى لا تبقى وحدها فى المساء الا أنها وهى تنتظر ذلك سمعت صوت كنديدا تطلب منه ان ينهى حديثه، فأثار كارولين ما بدا فى صوتها مما يدل على انها متمكنة منه حاول دومنيكو أن يضيف شيئا الا أنها وضعت سماعة التليفون واتجهت الى منضدة الزينة.

وعندما فعلت ذلك لم تنظر مرة ثانية الى المرآة اذ أزعجها الثوب الذى كانت ترتديه ولم تشأ أن يعوقها أى شىء عن تنفيذ خطتها ووضعت المعطف عليها وبمجرد أن رن جرس الباب نزلت الدرج وخرجت.

. «هل كان الثوب مناسبا يا كارولين؟».

. «طبعا يا جيفرى. انه رائع».

. «انك متحررة قليلا يا كارولين. لو كنت رفضت ارتداء هذا الثوب ما قلل ذلك من قيمتك فى عينى ليس لأنه زى غير ملائم وانما لأن بعض الفتيات يفتقرن الى الثقة بالنفس ولا يرتدينه. بالاضافة الى اننى قمت بعمل جبار حتى أجعلك تبدين هكذا».

عندما وصلا الى المنزل الذى تقام فيه الحفلة وجداه متألقا بالأضواء وأخذ قلب كارولين يدق بسرعة اذ توقعت مفاجآت سعيدة عندما سمعت صوت الموسيقى والضحك.

سارا من خلال الباب الواسع المفتوح وحياهما مضيفاهما اللذان كانا يرتديان ملابس تمثل أنطونيو وكليوباترا. وعندما نظرت كارولين حولها شعرت بأن الخجل زايلها، فبالمقارنة بالأزياء التى تراها فى الحفل كان ثوبها أكثرها احتشاما.

واندفع حشد سعيد عاصف بكارولين ولم تر جيفرى الا قليلا، اذ كان زيها الغريب وعيناها اللامعتان ووجهها المتورد مقصد ذلك الحشد من الحاضرين. وللمرة الاولى فى حياتها شعرت بأنها حرة تماما. بعد فترة جاء جيفرى وقد بدت عليه علامات السخط لأنها كانت تبدل الرجال فى كل رقصة. فاتخذ طريقه وسط المعجبين وقد ارتسمت على وجهه نظرة هادفة وقال:

. «هذا كثير. فقد أحضرت الى الحفلة أكثر نساء روما جاذبية ومع ذلك لم أتمكن من الاقتراب منها. انصرفوا عنها وليبحث كل منكم عن رفيقته. الرقصة التالية ستكون من نصيبى أنا».

رقصت كارولين مع جيفرى. وأثناء دورانها فى حلبة الرقص اصطكت الصنجات النحاسية فى صوت مرتفع وتوقفت الموسيقى فجأة ثم سمع صوت قائد الفرقة الموسيقية:

. «سيداتى سادتى من فضلكم الرجاء الانتباه».

فصمت الجميع وهم فى انتظار ما سيعلنه.

www.liilas-romance.com

- «الرقصة القادمة ستكون رقصة موسيقى الغرامات».

هللت المجموعة فى سرور وقام جيفرى بشرح تلك الرقصة لكارولين الحائرة ومؤداها أن يسير رجل فى اتجاهات معينة بين الراقصين وعند تتوقف الموسيقى يطلب من الراقصين اللذين على يمينه الاجابة عن سؤال فاذا عجزا عن الاجابة طلب منهما تأدية غرامة.

وبدأت الفرقة الموسيقية تعزف وكان الراقصون الثائرون يحاولون تفادى الرجل الذى كان يخطو بخطوات كثيرة ناحية اليمين وخطوات أخرى ناحية اليسار.

وكانت كارولين وجيفرى غارقين فى متعة الرقص حتى نسيا الحذر فكانا الراقصين اللذين استحقا الغرامة. وكان السؤال الموجه اليهما أصعب من أن يجيب عنه أستاذ فى الجامعة. حاولا الاجابة وقد أخذتهما رهبة المفاجأة، لكنهما فشلا.

وسر أصدقاء جيفرى عندما طلب منه أن يرقص الرقصة المزمارية وقد أداها بتقليد متقن. وكانت غرامة كارولين أن ترقص رقصة تتناسب مع الزى الذى كانت ترتديه. فاعترضت قائلة:

- «لا استطيع».

الا أن المجموعة صممت على رأيها ودفعها جيفرى الى وسط الحلبة. وأخذوا يصرخون تشجيعا لها ويصفرون بأصوات تشبه عواء الذئاب وهم يترقبون الرقصة. وبدأت الفرقة تعزف أو بالأحرى آلات النفخ.

وكان الجو يذكر بحياة جوارى القصور فى أحقاب التاريخ القديمة.

وبهزة من كتفيها ثبتت كارولين الخمار على وجهها وخطت داخل دائرة المتفرجين الضاحكين وبدأت تتمايل مع الموسيقى التى تكاد تؤثر فى الحاضرين تأثير التنويم المغناطيسى. وكانت وهى ترقص تتذكر صوت مدرسة الرقص القديمة يدوى فى أذنها قائلة لها:

- «استمعى الى الموسيقى. انسى نفسك فى الايقاع الموسيقى واجعلى جسمك يحكى القصة التى تريد الموسيقى أن تعبر عنها. استرخى يا فتاتى».

وجرفها سحر الموسيقى. ولما توقف العزف فجأة استوقف انتباهها عينان سوداوان تنظران اليها فى احتقار. فوقفت فجأة وتسمرت فى مكانها.

ولم تقو على النظر فى عينى دومنيكو الغاضبتين الذى سارع الى الاختفاء عن الانظار بينما احتشد المهنئون من حولها، واندمجت فى وسطهم تعبر عن شكرها. وحاولت إخفاء شعور الرعب الذى استولى عليها عندما علمت بوجود دومنيكو وحاولت الاختفاء فى الزحام لكن لم يدهشها أن وجدت يداً كالفولاذ تقبض على مرفقها وتدفعها نحو الباب فى عنف. ولمحت الذعر فى وجه جيفرى عندما تبين أن دومنيكو هو رفيقها، ولكنها لم تجد فرصة للتحدث معه.

رافقها دومنيكو بتجهم الى سيارته وانطلق بها سريعا. كان الطريق طويلا وكانت واثقة من أنه ليس الطريق الى المنزل. وبدأ الذعر يتسرب اليها.

www.elromancia.com

وفجأة توقف الى جانب الطريق وأخذ يتفحصها ولم يترك جزءا من زيها الذى بدا زيا رخيصا مبهرجا فخفضت عينيها وتوردت وجنتاها ألما عندما شعرت بالاحتقار الذى يكنه لها.

. «هل تتفضلين بأن تشرحى كيف نسيت نفسك إلى هذا الحد وجعلتنى اضحوكة أمام أصدقائى وموضع اشفاق من جانب عائلتى؟ لماذا خالفت تعليماتى الواضحة التى نهيتك فيها عن مقابلة جيفرى؟».

اغرورقت عيناها بالدموع فالتفت اليها قائلا:

. «الدموع لن تفيدك الآن يا كارولين فاحتفظى بها لما هو آت. انا واثق من انك ستحتاجين الى صمام أمان عندما أنهى الأمر معك!».

وسألته مذعورة:

. «مذا تعنى ؟».

. «أعنى أن الوقت قد حان لكى تدفعى دينك يا كارولين! سآخذ منك شيئا مقابل العار الذى ألحقته بى وسآخذه تحديداً الليلة».

واندفعت السيارة صاعدة بين الكروم والفيلات المنعزلة. خطر لها أن تدفع باب السيارة وتقفز منه وانتابتها قشعريرة من الخوف فحاولت التحكم بأعصابها وأخذت تؤكد لنفسها بأن دومنيكو هو قبل كل شىء رجل نبيل.

وبدأت السيارة تتباطأ ثم توقفت أمام فيلا محاطة بورود وشجيرات. وانتظرت فى هدوء ولم تتحرك الا عندما فتح دومنيكو الباب وقادها الى الردهة. وتوترت أعصابها عندما قال لها فى اقتضاب:

. «ادخلى هنا وأجلسى بينما احضر القهوة».

تبعته الى غرفة مؤثثة تأثيثا ينم على ذوق سليم. واستقرت راضية فى أريكة قرب نافذة كبيرة تطل على الحديقة.

فتح الباب ودخل دومنيكو الغرفة يحمل صينية القهوة ووضعها على منضدة وبدأ يسكبها. وجلس الى جانبها وقدم لها قدحها فانسكب قليل من القهوة على معطفها فبادرت الى نفضها قبل أن يبادر بلمسها، وتدفق الدم فى وجهها عندما ابتسم ساخرا وقال:

. «سنرى الآن اذا كنت قادرة على المقاومة؟».

كانت عيناه مثبتتين على وجهها تتقدان بضوء غريب فارتبكت وحاولت الوقوف لكنه مد يده ليمنعها فابتعدت عنه بعصبية وانزلق معطفها من فوق كتفيها لكنه أدركها وأمسك بها وجعلها عاجزة عن المقاومة بشل حركتها وأخذ يجذبها الى ذراعيه. شعرت بيديه تقبضان على حلقها وانفتحت عيناها فى الوقت المناسب لترياه وقد انتزع منها القلادة الزجاجية البراقة التى كانت تتحلى بها.

وبدأت تقاوم والغضب الشديد يستولى عليها، وزايلتها موجة العاطفة التى استيقظت فيها عندما أدركت قصده.

ضاقت حلقة ذراعيه من حولها تمسك بها كأسيرة، ولم تؤد مقاومتها الا اصراراً على ابقائها فى قبضته. قالت:

. «أرجوك يا دومنيكو ألا تفعل».

. «ولم لا أفعل؟ هل أنا من الحماقة بحيث أسمح لكل رجل غيرى بأن ينعم بك أما أنا فمرفوض دائما؟ أنت زوجتى. هل تتذكرين هذا؟

www.elromancia.com

هل توقعت حقا أن أقف مكتوفا وأنا أراقبك تغازلين أى رجل تميلين اليه دون أن تشعرى على الاطلاق بوجودى؟».

- «لم أغازل أى شخص يا دومنيكو. ذهبت الليلة الى الحفلة الراقصة مع جيفرى لأننى شعرت بوحدة رهيبة ولأنك حاولت السيطرة على بالفرمان السخيف الذى أصدرته بأن أكون سجينة البيت. قطعا لم تتوقع منى أن أحمل هذا القول محمل جد! فنحن لا نعيش فى العصور المظلمة. و لابد أنك لم تتوقع منى الامتثال لمثل هذا الطلب السخيف».

- «لا أريد سماع المزيد. كنت تعلمين أن ما تفعلينه يغضبنى ويمكنك الآن أن تحصدى ثمار هذا الغضب. انك مجموعة من المتناقضات يا كارولين! منذ اليوم الأول الذى قابلتك فيه وأنا عاجز عن معرفة حقيقة أمرك. وأى الفتاتين أنت. فمن ناحية، أرى الأم الصغيرة السعيدة مع طفل يحبها ثم تزعجينى بقولك انك لم تحبى فيتو وهو ما يوحى بالاعتقاد بأنك امرأة منحلة. وأدهشتنى مرة أخرى عندما قلت إنك تقبلين هدايا من الماس من الأصدقاء كتأمين ضد الفقر. وأصابنى الخزى عندما رقصت كبنات الهوى أمام كل من يعرفنى فى روما. وأكثر ما يدهشنى هو أسلوبك فى الفوز بالحظوة لدى عمتى وكنت دائما أقول انها وحدها هى التى ستدرك حقيقتك».

وفى اللحظة التالية رفعها وحملها الى الاريكة كانت فى حاجة شديدة اليه وكان يريد بقوة وللمرة الأولى فى حياته، أن يحظى بشخص يكون له وحده، شخص لا يشاركه فيه أحد كما شارك فيتو فى أمه وكما شاركه زوجته وطفله.

تركت نفسها وتوقفت عن مقاومته واغمضت عينيها.

وربتت على عنقه وهى تبكى وهمست وعيناها مغمضتان:

- «فيتو يا حبيبى إنى أحبك كثيرا».

كان دومنيكو ساكنا تماما حتى فتحت عينيها. وبدت عليه امارات الحيرة وهو يحاول أن يعرف منها الحقيقة كاملة. وسألها بفتور:

- «هل كنت تحبين فيتو؟».

- «نعم، وأظن أنى سأحبه دائما».

ذعرت لصمته وأفزعها ثباته واغرورقت عيناها والتفتت برأسها كى تخفى عنه عينيها. وهنا عرف الحقيقة. رفع يده الى خديها ومسح دموعها برفق. وأبعدت رأسها بعصبية عن ملمسه وصاحت:

- «لا تلمسنى!».

وسحب يده بسرعة وابتعد عن الأريكة وحدق الى النافذة. وعندما التفتت اليه كان وجهه صارما.

- «تعالى يا كارولين. سآخذك الى المنزل».

ولم يسألها لماذا كذبت عليه بالنسبة لشعورها تجاه فيتو. اعتبر هذا الامر حقيقة واقعة . وأدرك أنها نطقت بهذه الحقيقة فى فورة العاطفة وهى بين ذراعيه مما ذكرها بفيتو باعتباره الرجل الوحيد الذى تحبه فعلا.

أعانها على الوقوف وأحاط كتفيها بالمعطف وفى أثناء ذلك مستها أصابعه برفق فسرت فى جسدها رجفة سريعة اعتبرها من آثار رد

الفعل المفاجىء ونظر طويلا الى عينيها المعذبتين وتنهد قائلا:

- «لا داعى للقلق لن أفرض عليك عاطفتى مادمت لا ترحبين بها. ارجو قبول اعتذارى لسلوكى فى الماضى. ولو كنت أعلم أنك أحببت فيتو الى هذا الحد لما حدث ذلك ابدا. هل تغفرين لى؟».

لم يعد لديها من الثقة فى النفس ما يسمح لها بالكلام وانهارت تماما. وأحاطها بذراعيه وقادها الى السيارة.

كانت الرحلة الى المنزل سريعة وهادئة على عكس ما توقعت. وفى الساعات الأولى من الصباح توقفا أمام منزل العمة رينا. لكن الأضواء كانت مازالت تتألق من النوافذ. وبعد أن ساعدها على الخروج من السيارة صعد سريعا الى السلم ورن الجرس.

فتح ايمانيويل الباب وعندما رآهما على العتبة رفع ذراعيه:

- «شكرا لله».

- «ما هذا يا ايمانيويل؟ هل حدث شىء للعمة رينا؟».

- «انه السيد فيتو جاءنا خبر بأنه حى وهو فى طريقه الى البيت! ان السيدة لا تصدق وتكاد تطير من الفرح. وقد أرغمناها على النوم لأن الصدمة كانت شديدة على قلبها لكنها سعيدة جدا. كما اننا سعداء جميعا».

والتفت دومنيكو الى كارولين فرأى وجهها المفعم بالحيوية يشع بتعبيرات السرور وهى غير مصدقة. وسألها بانزعاج:

- «وماذا يكون الأمر بالنسبة الينا يا كارولين ماذا سنفعل الآن؟».

لم ينتظر جوابها لكنه أسرع الى غرفة عمته. وببطء صعدت الى غرفتها وقد أصابها الدوار. لقد صدمها أنها وعت كل ما قاله ايمانيويل، وتملكتها فكرة وحيدة هى أن فيتو سيحضر الى البيت وأن عليها أن ترحل قبل وصوله وقبل أن يعرف الجميع أنها كاذبة. كان مروعا أن تفكر فى بقائها لمواجهة حنق دومنيكو عندما يكتشف أنها كذبت عليه. وبدأت هى شديدة الانفعال تعد حقيبة ملابس تحتوى على اللوازم الأساسية لتعود الى انكلترا.

لكنها ستحتاج الى نقود أجرة سفرها. وحساب البنك الذى فتحه لها دومنيكو لم تمسه حتى الآن. ثم ان البنوك لا تفتح الا متأخرا وهى لا بد أن تذهب حالا. ولكن كيف؟

نظرت الى التليفون وتذكرت جيفرى. وباندفاع اتصلت به تليفونيا:

- «جيفرى؟ انا كارولين . احتاج الى مساعدتك. أرجوك يا جيفرى هل تساعدنى كى أصل الى انكلترا؟».

فأكد لها أنه سيفعل كل ما يستطيع على الفور. ثم سألها:

- «هل تريدين أن آخذك الآن؟».

- «نعم، سأكون مستعدة عندما تصل. لا تحدث أى صوت. سأسمع سيارتك واخرج. أشكرك يا جيفرى كثيرًا انك صديق حقيقى».

ارتدت ملابس السفر وألقت نظرة أخيرة على غرفتها وانسلت الى أسفل الدرج.

ظلت أعصابها متوترة حتى سمعت صوت سيارة جيفرى تقف فأسرعت الى حيث كان ينتظر وبسرعة انطلقت السيارة بهما.

قال جيفرى:

- «لم يكن لدى وقت حتى اتصل بالمطار يا كارولين. أعتقد أنه من الأفضل أن نعود الى مسكنى لتناول الفطور ثم نتمكن من اجراء بعض الاتصالات عن أول رحلة ممكنة. ما رأيك؟».

وافقت على اقتراحه وقالت:

- «لا أعرف ماذا كنت أفعل بدونك يا جيفرى؟ من الصعب على أن أطلب شيئا من أحد ولكن لابد أن أحصل على بعض النقود ثمن بطاقة السفر. أيمكنك إقراضى بعضها؟ سأردها اليك عندما أجد عملا».

- «ماذا تعنين بقولك الى أن تجدى عملا؟ أظنك لا تعنين أن زوجك سيسمح لك بالعمل وهو من أغنى رجال روما؟».

- «لن يعرف دومنيكو انى تركته الى الأبد! لا أتوقع رؤيته».

وبعد تناول الفطور قال لها:

- «حسنا قصى على العم جيفرى كل ما حدث».

- «لدى الشىء الكثير الذى أرويه الا أننى لا أعرف من أين أبدأ. أليس من الأفضل أن تتصل بالمطار تليفونيا فلعلنا نجد مقعدا خاليا اليوم. يجب أن أرحل يا جيفرى اذ أننى لو بقيت فى روما واكتشف دومنيكو اننى تركته فسيعثر على بالتأكيد».

- «وهل تعتبرين هذا شيئا فظيعا؟».

- «نعم فظيع جدا الى الحد الذى أعتقد أنه ليس فى استطاعتى تحمله».

اتصل بالمطار ثم هز رأسه وقال:

- «هناك مكان شاغر على طائرة تقلع فى الساعة الثامنة وقد حجزته لك».

ثم قال لها فى حزم:

- «الآن هل لك أن تقصى على معنى كل هذا؟ امامنا الكثير من الوقت لآخذك الى المطار. يمكنك أن تبدأى الحديث من أوله. أرجوك، هيا انطلقى».

وبدت مترددة ثم قصت عليه كل ماحدث ابتداء من يوم جنازة أبيها الى أن خرجت معه من المنزل هذا الصباح.

فألقى عليها نظرة رثاء وهو يقول:

- «مسكين يا دومنيكو العجوز. لم أعتقد أبدا أنه سيأتى اليوم الذى أشعر فيه بالاسف تجاهه. أنت يا كارولين وضعته بين شقى الرحى. تريدين أن تقولى انه بعد زواجك منه مازال يعتقد انك تحبين ابن عمه؟ ياللغبى المسكين!».

- «آه، لا تقل هذا يا جيفرى! الا تعتقد أنه كان على أن أفعل ما فعلت؟ لم أستطع أن أتركه يأخذ الطفل منى. كان لابد أن أجعله يعتقد اننى دورندا، ثم تعاقبت الأحداث بسرعة وفى النهاية وقعت فى شرك من الخداع. والآن ألا ترى أنه يجب على الذهاب؟».

- «ولكن هل أنت واثقة تماما من أنه سيكون غاضبا كما تعتقدين عندما يكتشف خدعتك؟ لعل حبه الكبير لك يجعله يتغاضى عن تلك الخدعة. ولماذا لا تكلمينه على الأقل قبل مغادرتك روما؟ اعطه فرصة

www.elromancia.com

الاستماع الى وجهة نظرك فى الأمر كله قبل أن يصل فيتو الى المنزل. قولى له الحقيقة أنت بنفسك يا كارولين ».

. «لالالا! لا يمكننى . يجب أن أرحل!».

أخذها الى السيارة وانطلقت بهما . وأخذت تنظر الى معالم روما . وعندما فكرت فى السنوات الطويلة التى ستعيشها من غير دومنيكو احتقن قلبها حتى الانفجار.

وصلا الى المطار وبعد أن اشترى جيفرى التذكرة ذهبا الى القاعة وشعرت بقلقه عليها فنظرت اليه قائلة:

. «لا تنزعج يا جيفرى. انى أدرك ما أنا مقدمة عليه. أرجوك لا تقلق من أجلى».

. «لا أستطيع يا عزيزتى. ماذا سيحدث لك عندما تصلين الى انكلترا؟ أين ستقيمين كيف يمكننى الاتصال بك؟».

. «سأكتب لك حالما أتمكن وشكرا على كرمك، لدى ما يكفى من النقود كى أصل الى منزل صديقتى».

. «مادمت متأكدة من ذلك فاننى سأتركك تذهبين ولكن تذكرى يا عزيزتى اذا احتجت الى فى أى وقت اخبرينى وسأحضر إليك فى الحال».

ثم تركها وذهب الى احد المحلات حيث اشترى لها علبة كبيرة من الشكولاته ورزمة من المجلات. ولمح عنوانا فى احدى الصحف الانكليزية فأخذها اليه ، هو متجهم وقال:

. «ترحلين فى الوقت المناسب يا كارولين. الصحيفة هنا تقول إنه من المتوقع وصول فيتو اليوم الى هذا المطار وأنه سيحضر مع زوجته. قولى لى ما هو اسم أختك؟ هل هذه صورتها المنشورة فى الجريدة؟».

اخذت الجريدة منه فرأت وجه دورندا الباسم تحدق فى شاب أسمر يبدو بلا شك أنه من عائلة فيكارى. وقد برزت العناوين الخبر بشكل مثير بأن رفيقة هذا الايطالى لم تكف عن البحث عن أى خبر عنه وتتبعت كل أثر له حتى نجحت فى العثور عليه فى مستشفى ارسالية وسط غابة افريقية. وكان يعانى من فقدان الذاكرة وأعراض اخرى. وحولت الصحيفة هذه الواقعة الى قصة مشوقة. وكتبت تفاصيل عن الزواج الذى تمت أحداثه فى افريقيا.

اغرورقت عينا كارولين بدموع الفرح وهى تقرأ هذا الخبر. وأكثر ما أفرحها أن طفلها المحبوب سيكون اخيرا فى كنف والديه.

بعدما سمعت النداء على رقم رحلتها:

. «وداعا يا عزيزى جيفرى. هذه أحسن هدية بمناسبة سفرى كان فى وسعك تقديمها لى. وقد اقتنعت الآن بالرحيل اذ هناك عضوان من أسرتى على الأقل يعيشان فى سعادة هما دورندا والطفل. هل تعدنى يا جيفرى بألا تذكر لدومنيكو أين ذهبت؟».

. «اعدك بذلك. ودائما يا عزيزتى سأظل اذكرك الى الابد».

١٠ ـ اعتراف!

سأل سائق السيارة كارولين بعدما أشارت له بالوقوف:

ـ «الى أين تريدين الذهاب يا آنسة؟».

قرأت له كارولين عنوان جين. فرد عليها قائلا:

ـ «سنكون هناك بعد عشر دقائق».

وعندما توقفت السيارة أمام منزل شبه منعزل توجهت فى شىء من التردد الى الباب الامامى فتحه لها رجل طويل القامة. وللوهلة الاولى تعجبت للطريقة التى استقبلها بها فقد نظر اليها وكأنه لا يعرفها:

ـ «جيم، اننى..».

ـ «كارولين، لم استطع التعرف عليك للوهلة الأولى. تفضلى بالدخول! ونادى جين وأسرعت جين من المطبخ وهى فى سعادة لا توصف لرؤية كارولين».

ـ «لم لم تخبرينا بأنك آتية؟».

ـ «سافرت فى عجلة يا جين . أرجو ألا أكون قد أزعجتكما بزيارتى المفاجئة ولكن فى وسعى دائما الذهاب الى الفندق».

ـ «فندق؟ بالله عليك لا تفعلى هذا! لقد كنا فى شدة الشوق الى رؤيتك، قلت لجيم أمس إنه اذا لم يصلنى منك رسالة واضحة فسيكون على الذهاب الى روما لأطمئن عليك».

قالت جين بعدما استقرتا فى غرفة الاستقبال:

ـ «حسنا يا عزيزتى، هل تودين التحدث فى الأمر؟»

تركت كارولين مقعدها وجثت على ركبتيها ودفنت وجهها فى حضن جين وروت لها القصة كاملة.

وعندما انتهت تناولت جين خديها بين أصابعها ونظرت اليها فى دهشة قائلة:

أتعنين أنك تحبين زوجك ومع ذلك انسحبت، لقد خاب املى يا كارولين! كنت اظنك اكثر جرأة من ذلك».

ـ «كيف يمكننى البقاء؟ لا شك انه سيحتقرنى!»

وأخفت جين ابتسامة الانتصار عندما تبينت انها استطاعت اثارتها. الا انها لم تستطع كتمانها. ونظرت اليها كارولين فى ارتياب وبدأت عيناها تلمعان:

ـ «تعمدت إثارة غضبى».

ـ «أليس كذلك؟ نعم يا عزيزتى ويجب الاعتراف بأنك تشعرين بتحسن الأن. ألست على حق؟».

لم ترد كارولين بل افترت شفتاها عن ابتسامة كدليل على رضاها.

كانت ضحكات توأمى جين تؤلم كارولين لأنها ذكرتها بالطفل فيتو.

ورأت رجلا طويل القامة يسير على بعد فكان ذلك كافيا لكى يبدأ قلبها فى الخفقان ولكى تحس بوخز فى أعصابها الى أن أدركت أنه لم يكن دومنيكو. لم يلتئم الجرح فى قلبها لكنها تعلمت إخفاءه شيئا فشيئا حتى عن جين.

قضت معهم حوالى اربعة اسابيع ولم تشأ أن تطيل الاقامة فابلغت جين بأن الوقت حان لتجد وظيفة وتستقر فى منزل خاص. ورجتها جين فى البقاء ، ولكنها أصرت. وبدأت تخطط وكان أول ما قررته هو أن تتصل بالسيد ولكنز لتخبره بأن دورندا لم تعد مفقودة. ولما كانت هذه المرة الأولى التى اتجه ذهنها فيها الى السيد ولكنز منذ عودتها الى انكلترا، فقد تذكرت انها أخبرته بأنها ستتصل به عندما تريد منه أن يبعث اليها بالمال، وها قد جاء الوقت المناسب فما أحوجها اليه الآن.

وفى اليوم التالى ذهبت الى البلدة الصغيرة التى فيها مكتب السيد ولكنز وعندما تقدمت لتحيته رمقها بنظرة من وراء نظارته وصدمها بكلماته قائلا:

- «هل رأيت زوجك يا سيدتى الصغيرة؟»

- «لا. هل تعنى أنه هنا فى انكلترا؟»

فأجابها مستنكرا:

- «بالطبع كان فى هذا المكتب منذ ثلاثة أسابيع يسأل عنك. ولم أستطع مساعدته لاننى لا أعرف أى أخبار عن مكانك وترك عنوان الفندق الذى يقيم به وطلب منى الاتصال به بمجرد أن تصلنى أخبار

عنك. ويمكننى أن أضيف الى ذلك اننى لم أر رجلا أكثر اصرارا منه ، فهو ينوى أن يبحث عنك فى كل مكان حتى يهتدى اليك فى النهاية!»

شهقت ومدت يدها لتمسك بالمقعد حتى لا تترنح. فقد اعتقدت أنها لن تضطر الى رؤيته ثانية وان المحامى سيقوم بكل الاجراءات الضرورية لأنهاء زواجهما. وتوسلت اليه قائلة:

- «يجب ألا تخبره باننى كنت هنا يا سيد ولكنز. أرجوك لأننى لا أريد رؤيته ثانية».

وشحب لونها فأجلسها ولكنز وطلب من سكرتيرته أن تأتيها بكوب من الماء.

وعندما ارتشفت الماء وتوقف الدوار طلبت منه مرة أخرى ألا يتصل بدومنيكو. فقال لها محرجا:

- «ولكن أعتقد يا عزيزتى أنه يجب أن تتقابلا وتصلحا ما بينكما. ومع أننى لا أظن أن الأمر سيتطور الى هذا الحد، ولكن اذا ضاع كل أمل فى المصالحة فلابد أن تتقابلا وتتفاهما على كل شىء».

- «لن أقبل منه مليما واحدا. وعندما ينتهى زواجنا لن يكون مسؤولا عنى ولذلك لا أرى أى حاجة لاطلاعه على مشاريعى للمستقبل».

- «كيف ستعيشين؟ انك غير مدربة على عمل معين وفى الحقيقة يا فتاتى لقد عدت كما كنت بعد موت أبيك الفقير تفتقرين الى الخبرة والمال».

وهز رأسه كما لو كان يائسا من إمكانية اعادتها الى صوابها. ثم واصل القيام بأعماله بعد أن وعدها كارها بالا يخبر دومنيكو اذا ما اتصل به ثانية.

www.elromancia.com

وعندما عادت الى المنزل كانت ترتجف من شدة الانفعال: فبعد أن أسرعت خارجة من مكتب السيد ولكنز، أخذت تنظر الى الخلف خشية ان يكون دومنيكو وراءها. وحاولت إخفاء صدمتها عن جين وأدهشها انها استطاعت ذلك. فقد بدت جين منشغلة الذهن، وكان عليها أن تكرر عبارتها لكى تسترعى انتباهها. وأجفلت جين قائلة:

- «آسفة يا عزيزتى. ماذا قلت؟»

وكررت كارولين فى صبر:

- «قلت إننى رأيت السيد ولكنز ويبدو أن عندى مبلغا لا بأس به فى البنك لهذا ينبغى على أن أبحث عن مكان أقيم فيه».

وبدا كأن هذه الكلمات قد أخرجت جين من احلامها لأنها ناشدتها بجد واصرار قائلة:

- «الوقت ليس مناسبا. انتظرى قليلا».

- «لماذا يا جين؟ ليس فى وسعى البقاء هنا الى الأبد. وانا اشكرك لاستضافتك لى طوال هذه المدة. لا أستطيع أن أفرض نفسى عليكما أكثر من ذلك».

- « انتظرى بضعة أيام أخرى فقط يا كارولين. أرجوك!»

تملكت الحيرة كارولين لكنها قررت أن تستجيب لرغبة صديقتها فهزت كتفيها وقالت:

- «حسنا يا جين. اذا كنت تصرين. ولكن أرجو ألا يظن جيم اننى باقية الى الابد».

- «لا .لا أظن ذلك».

قررت كارولين عدم الاشارة الى أن دومنيكو موجود فى البلدة أو أنه يمضى جاهدا فى البحث عنها. فقد كانت فى حاجة الى وقت كاف لتفكر فى سبب اصرار ولكنز عليها لتقابل دومنيكو قبل أن يقرر ماذا سيفعلان.

ولم تكن قد اهتدت الى حل عندما طلبت جين منها ان ترعى طفليها فى غيابها، اذ أنها دعيت مع زوجها الى حفل يقام فى ذلك المساء وقالت ان المضيفة لا تعلم أن لديهما ضيفا. ومما أثار دهشة كارولين ان جين لم تفكر فى مجرد الاتصال بهذه المضيفة لتسألها ان كان فى استطاعتها اصطحاب كارولين معها. وتسبب هذا الاغفال فى جرح شعور كارولين اذ أنها بدأت تشعر بحساسية لأنها أطالت مدة اقامتها. وتساءلت عما اذا كانا سيختلقان عذرا ليختلى كل منهما بالآخر لبعض الوقت. ولكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة .

ولذلك رحبت بالبقاء مع الطفلين وأصرت على خروج جين هذا المساء لتصفيف شعرها والتجول بين المحلات وهو أمر كان متعذرا عليها بسبب وجود الطفلين.

وعاد جيم مبكرا وهو مبتهج، وبعد أن استعد للخروج وصف شعوره بأنه شاب يتأهب لأول موعد له مع حبيبته. فقد مضى وقت طويل دون أن ينعما بحياتهما حتى جاءت كارولين لترعى طفليهما.

أسرعت الى الطابق الاعلى حيث يرقد الطفلان لكى تبدل ملابسها وترتدى بنطلون جينز وقميصا قصير الاكمام زهرى اللون. وبينما كانت

www.elromancia.com

تسرح شعرها سمعت جرس الباب فابتسمت ظنا منها أنها جين التى اعتادت ان تنسى شيئا كلما خرجت. ونزلت لتفتح الباب وعلى وجهها ابتسامة عريضة استعدادا لممازحة جين.

. «جين، أنت...».

ثم توقفت وأمسكت بالباب وقد أحست بأن يدا فولاذية تعصر قلبها. ثم صاحت فى اختناق:

. «دومنيكو!»

وقف ينتظر فى وقار. ولما لم تتكلم ولم تتحرك افتعل ابتسامة خالية من الدعابة وسألها فى هدوء:

. «هل يمكننى الدخول؟»

. «نعم..نعم، بالطبع».

ظهرت وكأنها لا تعى ما تقول. وتحركت كإنسان آلى نحو غرفة الاستقبال وغاصت فى أريكة وهى ترتجف ونظرت اليه للمرة الأولى وصدمتها علامات التوتر حول فمه والظلال التى تحيط بعينيه وحرك رأسه وهو يبحث عن علبة السكائر فى جيبه نظرت اليه وقالت:

. «كيف عرفت مكانى؟»

. «بحثت عنك فى البلاد طولا وعرضا شهرا كاملا. وسألت عن أخبارك لدى جميع أصدقائك ومعارفك وأخيرا وصلتنى رسالة من أختك تشير على فيه أن أبحث عن جين لأنها واثقة من انك ستكونين معها وكانت على حق. فقد جئت الى هنا منذ بضعة أيام وقابلت جين

واستطعت اقناعها بضرورة التحدث معك. ثم وعدت بأن ترتب لى لقاء معك على انفراد. يجب أن نتحدث يا كارولين. ألا تريدين ذلك؟»

. «نعم أظن ذلك».

. «أولا. أريد أن اعتذر عن أسلوبى فى معاملتك. عندما أخبرتنى دورندا بما قمت به من أجلها».

ولم تسعفه الكلمات. فنهض وأطفأ سيكارته بعصبية. لم تستطع رؤية وجهه ولكنها استطاعت ان ترى عضلة تنقبض فى خده وفى قبضة يديه وكانه يجاهد لاستعادة رباطة جأشه:

. «لقد تزوجتنى لأنك خشيت أن آخذ الطفل منك عندما أعلم أنك لست أمه. أليس كذلك؟»

. «نعم يا دومنيكو فعلت ذلك. اننى آسفة لأننى اضطررت الى خداعك لكننى ظننت بانك لو اعتقدت بأن فيتو طفلى واننى كنت أحب أباه فلن تعمل على التفريق بيننا. كرهت نفسى لهذه الخدعة، لكنى اضطررت الى ذلك يا دومنيكو. فقد كانت الطريقة الوحيدة امامى».

. «أريدك أن تعرفى ان لا طلاق فى وطنى . هل المفروض على أن أعيش وحيدا فى ايطاليا بينما تقيمين أنت هنا فى انكلترا؟ أم انك مستعدة للعودة معى لمحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه؟»

. «ولكن ألا ترى يا دومنيكو انه يمكننا أن نبطل زواجنا؟ ولهذا لا أدعك...!»

ثم توقفت عن الحديث واحمر وجهها خجلا وهى تحاول جاهدة ترجمة أفكارها الى كلمات. وعادت تحاول الحديث فقالت:

www.elromancia.com

- «ولهذا- فى باريس وفى الفيلا...».

ولم تستطع أن تكمل. وبدا أن دومنيكو لم تكن لديه النية لاخراجها من هذا المأزق برغم أنها كانت واثقة انه يعرف تماما ما كانت تحاول قوله.

وأثارها بقوله:

- «هل تريدين الزواج من شخص آخر؟»

- «لا بالطبع! ولكن ألا ترى يا دومنيكو أننا اذا أبطلنا الزواج أصبحت حرا وتزوجت كنديدا؟»

فأجابها ببرود:

- «ليست لدى رغبة فى الزواج من كنديدا».

فتراجعت الى الوراء قائلة:

- «لكنك تحبها يا دومنيكو. اننى أعرف ذلك وقد رأيتك فى تلك الليلة وعرفت أنك تحبها».

فقطب حاجبيه وبدا محرجا ثم قال:

- «لو أنك أمعنت النظر فى تلك الليلة.. يا كارولين للاحظت أنها هى التى كانت تحتضننى».

- «ولكنك كنت تخرج معها كل ليلة- هذا ما قاله لى جيفرى. وفى الليلة التى خاطبتنى تليفونيا قبل ذهابى الى الحفلة، كانت معك. لقد سمعتها!»

- «اسمعى يا كارولين، لست أدرى ما شأن كنديدا بعلاقتنا، ولكن

يبدو انه يجب التخلص من هذا الموضوع قبل أن نتحدث عن الحقائق. انها مديرة الشركة كما أنها من أفراد العائلة وبينما كنت غائبا تعرضت الأعمال الى ازمة كبيرة وطلبت منى أن اسوى الأمور مما تطلب مجهودا كبيرا ولم يكن لدى وقت أضيعه إلا فى المساء. يجب أن تتذكرى أن العمل أهمل فى غيابى وتراكم فى المكتب وكنت مضطرا الى مساعدتها».

ثم استطرد:

- «أعترف بأنها بدأت محاولاتها للسيطرة علىّ ليلة الحفل لكنك لو انتظرت لسمعتنى أوضح لها أن اهتمامى بها كان مجرد اهتمام بالعمل. وبالنسبة الى فقد كانت رفيقة الصبا وطالما لهونا معا ولا شىء أكثر من ذلك. هل هذا يرضيك؟»

نظرت اليه فى أمل بعد أن جردته رقة عينيها من أسلحته. وصاح متألما:

- «أرجوك عودى معى يا كارولين! كانت الأسابيع الماضية جحيما. أعدك بأننى لن أطالبك بشىء بل امنحينى فرصة أخرى. أعرف اننى لا أستحقها، وفى الحقيقة لا أستطيع أن ألومك لو رفضت ذلك».

ثم قال بصوت قريب من الهمس:

- «اننى أحبك يا عزيزتى. أحبك ولا أحتمل التفكير فى المستقبل من دونك».

تواضع دومنيكو، الرومانى المتعجرف كان أكثر مما يمكنها احتماله. كانت تريده فى الحاح ولكن ليس هكذا! دومنيكو المتعالى يقول لها إنه

www.elromancia.com

سيقنع بأى جواب يصدر عنها.

مالت نحوه وقلبها يخفق فى شدة . ورفعت وجهها اليه وتمتمت:

- «آه يا دومنيكو يا حبيبى الغالى».

- «أتعنين اننى عانيت طوال هذه الاشهر على رغم انك تحبيننى؟».

احاطت رقبته بذراعيها وضمت نفسها اليه فى تأكيد أسعده ثم قالت:

- «أحببتك منذ ذلك اليوم فى باريس يا عزيزى لكننى لم أجرؤ على أن أدعك تعرف ذلك. وانت متى احببتنى؟»

فابتسم قائلا:

- «كانت المرة الأولى فى الحديقة يا عزيزتى. كنت ترتدين الملابس نفسها التى ترتدينها الآن لكنى لم أبال. لقد وقعت فى حب فتاة متهورة تلبس الجينز ولها عينان زرقاوان وجسم ملائكى يتمنى أى رجل أن ينظر اليه».

واستطرد قائلا:

- «والمرة الثانية التى ازددت حبا لك فيها كانت يوم زواجنا. ولكن فى باريس كنت متيما. اننى أحمل ذكرى تلك الليلة التى لم تفارقنى».

واحمر وجهها خجلا عندما تذكرت ارتباكها عندما استيقظت ووجدت نفسها فى ثوبها الأسود الشفاف.

وفجأة انطلقت ضحكته وجذبها اليه بحرارة شديدة. وتحملت نظرته دون احتجاج وكادت تبكى عندما همس قائلا فى جد:

- «لو كان على أن أختار لحظة فى قلبى، لما اخترت إلا هذه اللحظة يا عزيزتى لقد بحثت عنك طوال حياتى. ولو كتب على العناء لأجلك لقبلت ذلك. اننى لا أستحق عذوبتك وحبك لكننى سأكرس حياتى لرعايتك».

شكرته على حبه فى صمت. ونسيت كل ما لاقته من عذاب فى الأسابيع الماضية.

واعترف لها فى صوت ضعيف قائلا:

- «إننى أشعر بالغيرة من كل رجل سبقنى اليك. قولى لى ثانية إنك تحبيننى!»

- «دومنيكو. هل تشعر بالغيرة من أبى؟»

- «أبوك؟»

- «نعم فهو الرجل الوحيد الذى احببته قبلك».

آلمها أن وجهه شحب لونه ثم أداره بعيدا عنها وانتابه شعور بالضعة عندما أدرك أن معاملته السابقة لها ضايقتها. واحمر وجهه كدليل على شعوره بالحرج. فضمته اليها بكل ما فى اعماقها من حنان وحب بحيث لم يعد يشعر بأى ذنب. وأطمأن أخيرا الى أنها كانت له وحده. وتمتم فى أذنها قائلا:

- «أتدرين الى أين سنذهب يا عزيزتى؟».

فهزت رأسها فى دهشة ولم تعد تبالى بأى شىء فى هذا العالم مادامت ستكون معه.

www.eromancia.com

واضاف:

. «سنذهب الى باريس لقضاء شهر العسل. لكن الأمر سيختلف هذه المرة! سيختلف تماما ..».

فتنهدت وقالت فى سعادة غامرة:

. «آه، نعم، يا دومنيكو أرجوك!».

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة